الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غارداية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

تخصص : أدب عربي قديم

الشعريّة و الشاعريّة
دراسة نقدية تحليلية
(أمرؤ القيس ، و المتنبي أنموذجا)

مذكرة مقدمة لإستكمال متطلّبات شهادة الماستر في الأدب العربي القديم

من إعداد الطالب:

- سوفي عمر

تحت إشراف الأستاذ:

– أ/د بوعامر بوعلام

اللجنة المناقشة

اسم الاستاذ و لقبه	الرتبة العلمية	الجامعة	المهمة
أ/د بن سعد محمد	أ/د محاضر أ	غرداية	رئيسا
د/ بوعامر بوعلام	د/ محاضر	غرداية	مشرفا
د/ سويلم مختار	د/ محاضر	غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:1438هـ–1439هـ/ 2017م–2018م

إهـداء

إلى من قال فيها عزّ من قائل : " و قل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا " ، إلى الذين تعجز الكلمات عن الوفاء بحقهما و أقف عاجزا عن رد جميلهما و مثلي الأعلى في الحياة.

إلى التي حملتني وهنا على وهن تسعة أشهر إلى من سقتني منبع حنانها و عطفها ، إلى الشمعة التي تنير دربي ، إلى من ساندتني طيلة مشواري الدراسي ، إلى أغلى و أسمى هدية في الوجود غاليتي " أمـي " أطل الله في عمرها .

إلى من علمني أن الحياة كفاح و تصدي ، إلى من أحسن تربيتي إلى منبع قوتي ، إلى من ساندني و أبقاني دائما مستبشرا بثوب العلم و الجد و ظل مرشدي و معلمي " أبـي " العزيز رحمه الله و أسكنه فسيح جنانه

إلى سندي في الحياة أخوتي و أخواتي وكل اصدقائي

وفقني الله برضاه

شكر و عرفان

قال عزّ و جلّ : " و من شكر فإنّما يشكر لنفسه " و عملا بقوله : من لا يشكر الناس لا يشكر الله ، أتقدم بتعظيم شكري و جميل امتناني إلى الأستاذ بوعامر بوعلام المشرف على هذا البحث في جامعة غرداية ، على من تفضّل بهمن وافر علمه ، و ثمين وقته ، و توجيهاته السديدة ، فجزاه الله عنّي و عن طلبة العلم خير الجزاء .

و في الأخير أتقدم بكل شكر و امتنان إلى كل من قدم إليّ المساعدة و إعداد هذا البحث ، و إلى أسرتي و عائلتي الكريمة ، فلهم مني جميعا خالص الحب و التقدير و الوفاء .

الطالب

سوفي عمر

فهرس المحتويات :

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	
شكر و تقدير	
فهرس المحتويات	
مقدمة	**أ ب ج**
الفصل الأول : الشعرية و الشاعرية	
المبحث الأول : الشاعرية لغة واصطلاحا	**5**
المبحث الثاني : مفهوم الشّاعرية	**7**
المبحث الثالث : مفهوم الشعريّة	**8**
الفصل الثاني : شاعريّة امرئ القيس و المتنبي	
المبحث الأول : امرئ القيس و شاعريته	**11**
المبحث الثاني : المتنبي و شاعريته	**15**
المبحث الثالث : معيار الشاعرية	**25**
خاتمة	**50**
قائمة المصادر و المراجع	

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أكرمنا و شرفنا بأفضل كتاب خص به التلقين ، و الصلاة و السلام على سيّدنا محمد أفضل من نطق بالضاد القائل في حديثه الشريف : " أنا أفضل من نطق بالضاد " و على آله و صحبه و التابعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن نقد النقاد للشعرية و الشاعرية قديمة قدم دراسة الأدب العربي و إن الدراسات السابقة لموضوع الشعرية كانت تعد من بين الدراسات الأكثر شيوعا و صعوبة في آن واحد ذلك أن هذه الدراسة لا يتطرق إليها و لا يتصدر لها إلا النوابغ و قد كانت تسمى الشعرية آنذاك بمصطلح الفحولة الشعرية ، كإبن سلام الجمحي و الأصمعي و قد امتلك النقاد الأوائل أرمدة من المصطلحات كانت توظف بإقتدار لتستجلي الشعرية و تنزل أصحابها المنزلة اللائقة بكل واحد و لعل مصطلح الفحولة هو أكثر المصطلحات رواجا إذ لا نكاد نمر بمصدر نقدي أو كتاب له يتعلق بشعر قريب أو بعيد إلا وجدنا لذلك المصلح ذكرا فيه .

و من بين النقاد الأكثر إحتفاءا بمصطلح الفحولة شيخ العربية عبد الملك بين قريب الأصمعي البصري لسان العرب و أحد المشاهير المشتغلين بالأدب ، و في بحثنا هذا حاولنا الوقوف على حقيقة الشعرية و الشاعرية ثم بيان أثر توظيف المصطلح الفحولة في الساحة النقدية العربية متخذين نماذج رائعة في شعر العرب هما أمير الشعراء الجاهليين أمرؤ القيس ابن ربيعة و أشعر الشعراء بني العباس المتنبي و من لا يعرف المتنبي مالئ الدنيا و شاغل الناس .

أهمية الدراسة :

الكشف عن موضوع الشعرية و الشاعرية من الداخل.

التأصيل لنقد و تحليل عربي جديد يعتمد على أسلوب قدماء دارسي الأدب .

إعتماد أمهات الكتب دليل على التميز و التفرد في نقد الأدب من خلال كتاب لسان العرب لأبي البقاء الأصمعي.

النحت في ربوع البحث الأدبي ما يفتح المجال لآفاق أخرى في الميدان.

الإشكالية :

فيما تتمثل الشعرية و الشاعرية ؟ و كيف نتجلاها في شعر إمرؤ القيس و المتنبي ؟

في خطة بيانها كالتالي :

تطرقنا في فصلها الأول حول الشعرية و الشاعرية في ثلاث مباحث أولها حول الشاعرية لغة و اصطلاحا و في المبحث الثاني حول مفهوم الشاعرية و في المبحث الثاث حول مفهوم الشعرية ، في دراسة نظرية بحتة.

أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه إلى شاعرية إمرؤ القيس و المتنبي و نبوغهما في الشعر مستخلصين بعد ذلك معيار الشاعرية ، في ثلاث مباحث :

المبحث الأول المتنبي و شاعريته.

المبحث الثاني إمرئ القيس و شاعريته.

المبحث الثالث : حول معيار الشاعرية

و في الخاتمة تطرقنا إلى نتائج دراستنا لهذا الموضوع الذي يعتبر قديما متجددا بينا فيها بعض الأسرار التي توصلنا إليها في شعريتهما و شاعريتهما و سر خلود اشعارهما .

الفصل الأول : الشعرية

و الشاعرية

المبحث الأول : الشاعرية لغة واصطلاحا

تعريف و معنى شاعرية في معجم المعاني[1] الجامع – معجم عربي عربي

شاعرية: (اسم) :

مصدر صناعي من شاعر : موهبة قول الشعر يتمتع هذا الرجل بشاعرية فياضة ،

شاعرية حرة : مدرسة الشعراء الرمزيين أنصار الشعر الحر الحديث

شاعري: (اسم)

اسم منسوب إلى شاعر

جو شاعري : جو لطيف ، يريح الأعصاب ويثير في النفس معاني وخواطر رقيقة كلمات ذات صلة

استشر استشعار إشعار أشعر أشعرية أشعرة أشعار أشاعرة أشاعر أشعري تشاعر تشعير شعار شعارير شعر شعراء شعائر شعراني شعرة شعرية شعير شعيرة شواعر شعور شعرور

تعريف و معنى شاعرية في قاموس المعجم الوسيط ،اللغة العربية المعاصر قاموس عربي عربي

شاعرية

ش ع ر . (مصدر صناعي). :– يتمتع بشاعرية جيدة :– : بموهبة وكفاءة .

شعرية

المعجم الغني[2]

شاعرية

شاعرية مصدر صناعي من شاعر : مودعبة قول الشعر :– يتمتع هذا الرجل بشاعرية فياضة .،

– شاعرة حرة : مدرسة الشعراء الرمزيين أنصار الشعر الحر الحديث

استشعر الشيء أحست به مبهما ، توقعه بصورة غير واضحة ، حدثه به قلبه

استشعر الخطر ، – استشعر الخوف : أضمره

[1] معجم المعاني .

[2] المعجم الغني

المعجم: اللغة العربية المعاصر[3]

أشعر

أشعر – إشعارا

أشعره الأمر أو به : أعلمه إياه . 2– أشعر : أمره : جعله معلوما مشهورا . – 1 3– أشعر القوم : جعلوا لأنفسهم شعارا . 4– أشعر القوم : نادوا بشعارهم .5أشعر الثوب أو الحذاء : بطنه بالشعر . 6 – أشعر الجنين : نبت عليه الشعر .7 – أشعره « الشعار »، وهو لباس يلي شعر الجسد البسه إياه . 8 – أشعره بالشيء . الصقه به . 9– أشعره شرا : أتاه به

المعجم الرائد[4]

أشعر

أشعر يشعر ، إشعارا ، فهو مشعر ، والمفعول مشعر (للمتعدي . أشعر الغلام نبت على جسمه الشعر عند البلوغ والمراهقة • . أشعر القوم : جعلوا لأنفسهم شعاراه . أشعر الحاج البدن : جعل لها علامة تميزها هـ أشعر فلانا الأمر / أشعر فلانا بالأمر : أعلمه إياه :– أشعرهم بالخطر ، – { وما • . { يشيركم أنها إذا جاء لا يؤثون } – { ولا يشعر به أحدا | المعجم: اللغة العربية المعاصر

أشعرية

–: أشعرية

المعجم: اللغة العربية المعاصر

شاعرية

شاعرية

« موهبة الشعر ، قريحة : « هو ذو شاعرية فذة

المعجم: الرائد

شعر

شعر به وشعر شعر شعر وشعرا وشعره ومشغوره وشعورة وشعورة وشعري " . ومشغوراء ومشورة ؛ الأخيرة عن اللحياني ، كله : علم

[3] معجم اللغة العربية المعاصر.

[4] معجم الرائد .

وحكى اللحياني عن الكسائي : ما شعرت بمشغوره حتى جاءه فلان ، وحكي عن الكسائي أيضا : أشعر فلان ما عمله ، وأشقر لفلان ما عمله ، وما شعرت فلانة ما . عمله ، قال : وهو كلام العرب

وليت شغري أي ليت علمي أو ليتني علمت ، وليت شعري من ذلك أي ليتني شعث ...، قال سيبويه :، قالوا ليت شعرتي فحذفوا المزيد

المعجم: لسان العرب

كلمات قريبة

استشعر

-: استشعر يستشعر ، استشعارا ، فهو مستشعر ، والمفعول مستشعر

المبحث الثاني : مفهوم الشّاعرية

الشاعرية تلك الأنامل العازفة على أوتار العواطف والمشاعر لتسمع نبرات قيثارتها وتؤجج نارها لتضطرم في الأحشاء، أو يتولد حماسا ويتوقد، كأنما يتمطى ويستفيق من نوم عميق، وفي كلتا الحالتين ينبعث من تلك النقوش نورا يضيء الأرجاء معلنا بداية فجر جديد يبعث الأمل لدى المظلومين والمحرومين، كما يزرع شوك والقتاد في سبيل الظالمين والمفسدين فهل نسويها بالنثر الجميل، فقد يكون النثر جميلا بتجواله في ربى الفن والجمال، دون أن يستقي تصوراته من بحر الشاعرية؟ فهل يعي نفاة الشاعرية في النثر خطأهم، ولا يهمنا آنئذ قول قائل بأن كل تطرف لا بد أن يواجه بتطرف مثله؛ الكوننا أمة الوسطية ولا يهمنا انحراف المنحرفين فسرعان ما يحصد كل ما زرع وبين الشعر والشاعرية مسافة النظم والقافية والإيقاع الموسيقي فضلا عن ترابط المبنى بالمعنى في شاعرية تتناهي في عبارات قليلة، والشعر يسكن أبيات تميزه عن المقاطع، بينما الشاعرية تسرح وتمرح وتسبغ الجو عبقها في مروج الشعر وحدائق النثر، حيث تضفي عليها ألحان البلابل الموسيقى والإيقاع، التي عهدته في الشعر ولم تعهده في النثر ولئن جالت الشاعرية جولتها بين شارعي الفن والجمال، وهي حاملة ثقل رسالتها في صمت الكلمة المكتوبة، وغليان الماء الفوار مدغدغة العاطفة وعازفة على أوشاجها ومحركة زناد وقودها ليغوص القارئ في بحبوحة التغيير نفيا للظلم .والفساد، وشدا على أيدي البناء والتشييد وخارج حدود الفن والجمال تتمطى ألفاظ، وتتعالى عبارات، بجرسها المؤدي أو بصوتها الخافت،؛ لكنها لن تدخل بيت الأدب، مهما بلغ طمعها. ولنتركه الآن يعرفنا بالشاعرية : "وظاهر أن الشاعرية هي قبل كل شيء طاقة تعتمد على الأصول الطبيعية في ذات الشاعر، فتقوى وتضعف تبعا لحظ تلك الأصول من القوة والضعف وهذه الأصول التي تقوم عليها الشاعرية قد فرغ الناس من القول بأنها هبة من هبات الطبيعة ، فطبيعي أن تكون الشاعرية التي ترتكز عليها هي الأخرى توهب بالفطرة، وإذا لم توجد أصولها في الطبع فلن تستطيع أية وسيلة أن تخلقها وتكونها."

المبحث الثالث : مفهوم الشعريّة

الأشعرية (الفلسفة والتصوف) الأشاعرة

المعجم: اللغة العربية المعاصر

أشعرية

أشعرية

فرقة كلامية تنتسب إلى « أبي الحسن الأشعري »، أتت ردة في وجه « -1 المعتزلة » وحاولت أن تقف موقفا وسطا بين المذاهب العقلية المتطرفة وآراء المحافظين من أهل السنة

المعجم: الرائد

انت ردة في منطقة وآراء

الأشعرية

الأشعرية : فرقة من المتكلمين ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري ، يخالفون . المعتزلة في آرائهم

المعجم: المعجم الوسيط

استشعر الشيء

أحس به مبهما ، توقعه بصورة غير واضحة ، حدثه به قلبه :- استشعر الخطر - استشعر الخوف المعجم: عربي عامة

استشعر

. استشعر القوم : تداعوا بشعارهم في الحرب .

و استشعر الثوب : لبسته شعارا

.و استشعر الخوف : أحس به

. ويقال : استشعر خشية الله

المعجم: المعجم الوسيط[5]

استشعر

ش عر]. (فعل : سد . لازم متعد بحرف). إستشعر ، يستشعر ، مصدر] .

[5] المعجم الوسيط .

إستشعار .

استشعر الشعار :-: لبسه.

استشعر بالثوب :- : لبسه تحت ثيابه.

استشعر خشية الله :- : جعلها شعار قلبه

. إستشعر الخوف :-: أحس به

. إستشعر الناس :-: تداعوا بشعارهم في الحرب

المعجم الغني

استشعار .(ش ع ر . (مصدر إستشعر) .

إستشعاره بالرعب :-: إحساسه به

قرنا الإستشعار :-(حشرات). : زائدتان تخرجان من الرأس عند بعض

الحشرات تتميزان حساسية الشم واللمس

المعجم: الغني

استشعار

الفصل الثانـي : شاعريّة

امرئ القيس و المتنبي

المبحث الأول : امرؤ القيس و شاعريته

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (501 م – 540 م) كان شاعرا عربيا جاهليا عالي الطبقة من قبيلة كندة، يعد رأس شعراء العرب وأعظم شعراء العرب في التاريخ يعرف في كتب التراث العربية باسم " الملك الضليل" و" ذي القروح".

نشأته :

ولد في بطن عاقل في نجد ونشأ ميالا إلى الترف واللهو شأن أولاد الملوك وكان يتهتك في غزله ويفحش في سرد قصصه الغرامية، وهو يعتبر من أوائل الشعراء الذين أدخلوا الشعر إلى مخادع النساء. كان كثير التسكع مع صعاليك العرب ومعاقرا للخمر. (520 سلك امرؤ القيس في الشعر مسلكا خالف فيه تقاليد البيئة، فاتخذ لنفسه سيرة لاهية تأنفها الملوك كما يذكر ابن الكلبي حيث قال: كان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر بن وائل فإذا صادف غديرة أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح وشرب الخمر وسقاهم وتغنيه قيانة، لايزال كذلك حتى يذهب ماء الغدير وينتقل عنه إلى غيره.

حياة لم يرق لوالده فقام بطرده ورده إلى حضرموت بين أعمامه وبني قومه أملا في تغييره. لكن حندج استمر في ما كان عليه من مجون وأدام مرافقة صعاليك العرب وألف نمط حياتهم .من تسكع بين أحياء العرب والصيد والهجوم على القبائل الأخرى وسلب متاعها .

وقال ابن قتيبة: هو من أهل كندة من الطبقة الأولى. كان يعد من عشاق العرب، ومن أشهر من أحب هي فاطمة بنت العبيد التي قال فيها في معلقته الشهيرة:

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

وإن تك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وأنك قسمت الفؤاد فنصفه قتيل ونصف بالحديد مكبل

و ما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت أحراسة إليها ومعشرا علي حراصة لو يسرون مقتلي

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفضل

فجئت، وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل

فقالت يمين الله، ما لك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي

خرجت بها أمشي تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

ديانته

كان دين امرئ القيس الوثنية وكان غير مخلص لها. فقد روي أنه لما خرج للأخذ بثأر أبيه مر بصنم للعرب تعظمه يقال له ذو خلصة. فاستقسم بقداحه وهي ثلاثة: الأمر والناهي والمتربص. فأجالها فخرج الناهي. فعل ذلك ثلاثة فجمعها وكسرها. وضرب بها وجه الصنم. ."وقال: "لو كان أبوك قتل ما عقتني

موت والده كان لموت والده حجر على يد بني أسد أعظم الأثر على حياته ونقلة أشعرته بعظم المسؤولية الواقعة على عاتقه. رغم أنه لم يكن أكبر أبناء أبيه، إلا أنه هو من أخذ بزمام الأمور وعزم الانتقام من قتلة أبيه لإنه الوحيد الذي لم يبك ويجزع من إخوته فور وصول الخبر إليهم. يروى أنه قال بعد فراغه من اللهو ليلة مقتل أبيه على يد بني أسد: ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا. لا صحو اليوم ولا سكر غدا. اليوم خمر وغدا أمر أنشد شعرا وهو في دمون (واير

بالقرب من دوعن بحضرموت) قال فيها

تطاول الليل علينا دمون *** دمون إنا معشر يمانون

وإنا لأهلنا محبون

فلبس رداء الحرب في اليوم التالي وإتجه صوب بني أسد فخافوا منه وحاولوا استرضاءه إلا أنه لم يرض وقاتلهم حتى أثخن فيهم الجراح وفاحت رائحة الجثث. وذكر الكلبي: أن امرأ القيس أقبل براياته يريد قتال بني أسد حين قتلوا أباه، فمر على تبالة وبها ذو الخلصة (صنم من أصنام العرب) وكانت العرب تستقسم عنده، فاستقسم فخرج القدح الناهي، ثم الثانية، ثم الثالثة كذلك، فكسر القداح وضرب بها وجه ذي الخلصة وقال: عضضت بأير أبيك لو كان أبوك المقتول لما عوقتني. ثم أغار على بني أسد فقتلهم قتلا ذريعا. ويروي اليعقوبي أن إمرأ القيس قصد بني أسد في أول الأمر ولكنه أوقع بقوم من بني كنانة فصاح قائلا: "

يالثارات" مزهوا بما ظنه ثأرا من قتلة أبيه. فأجابه القوم: " والله ما نحن إلا من كنانة ". فأنشد قائلا :

ألا يا لهف نفسي، بعد قوم***هم كانوا الشفاء، فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني أبيهم *** وبالأشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضاً *** ولو أدركنه صفر الوطاب

وحينها أنشد قاتل أبيه عبيد بن الأبرص الأسدي قائلا:

يا ذا المعيرنا بقتل *** أبيه إذلالا وحينا

أزعمت أنك قد قتلت*** سراتنا كذبة ومينا

هلا على حجر بن أم *** قطام تبكي لا علينا

إنا إذا عض الثقاف*** برأس صعدتنا لوينا

نحمي حقيقتنا، وبعض *** القوم يسقط بين بينا

وفي هذا يقول أيضا في قصيدة له طويلة :

يا أيها السائل عن مجدنا *** إنك مستغبى بنا جاهل

إن كنت لم تأتك أنباؤنا *** فاسأل بنا يا أيها السائل

سائل بنا حجرة، غداة الوغى *** يوم يؤتي جمعة الحافل

يوم لقوا سعدا على ماقط *** وحاولت من خلفه كاهل

فأوردوا سرب له ذب؟ ***كأنهن اللهب الشاعل

وإتجه إمرؤ القيس إلى اليمن، وأقام بها زمانا يطلب مددا من قومه. فجمع جمعا من حمير ومذحج أمده بهم الملك ذي جذن الحميري. فأتجه صوب بني أسد بذلك الجمع وانتقم من قاتل أبيه وذبح عمرو بن الأشقر سيد بني أسد. حينها أنشد الشاعر قائلا مزهوا بنصره :

قولا لدودان نجد عبيد العصا *** ما غركم بالأسد الباسل

قد قرت العينان من مالك *** ومن بني عمرو ومن كاهل

ومن بني غنم بن دودان إذ *** نقذف أعلاهم على السافل

نطعنهم سلكى ومخلوجة *** لفتك لأمين على نابل

إذ هن أقساط كرجل الدبي *** أو كقطا كاظمة الناهل

حتى تركناهم لدى معرك *** أرجلهم كالخشب الشائل

حلت لي الخمر وكنت أمرا *** عن شربها في شغل شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقب *** إثما من الله ولا واغل نهاية حياته

لم تكن حياة امرؤ القيس طويلة بمقياس عدد السنين ولكنها كانت طويلة وطويلة جدا بمقياس تراكم الأحداث وكثرة الإنتاج ونوعية الإبداع. لقد طوف في معظم أرجاء ديار العرب وزار كثيرا من مواقع القبائل بل ذهب بعيدا عن جزيرة العرب ووصل إلى بلاد الروم إلى القسطنطينية ونصر واستنصر وحارب وثأر بعد حياة ملأتها في البداية

باللهو والشراب ثم توجها بالشدة والعزم إلى أن تعب جسده وأنهك وتفشي فيه وهو في أرض الغربة داء كالجدري أو هو الجدري بعينه فلقي حتفه هناك في أنقرة في سنة لا يكاد يجمع على تحديدها المؤرخون وإن كان بعضهم يعتقد أنها سنة 540م، وقبره يقع الآن في تلة هيديرليك بأنقرة. هناك قصة تقول أن الإمبراطور جستنيان غضب من إمرو القيس بعد مغادرته القسطنطينية لأنه اكتشف أنه إغرى واحدة من أميراته، وأرسل رسولا مع سترة مسمومة قدمت في شكل هدية، وأن إمرو القيس ارتدى السترة واشتد به المرض من جراء السم. ويقال بأن الروم، أي البيزنطيين، نصبوا له تمثالا بعد مماته، كان قائما حتى سنة 1262 ، وهذا ما أورده ابن العديم بأن الخليفة المأمون قد مر بتمثال امرئ القيس بالقرب من أنقره أثناء غزوه للصافئة، وكذلك أخبر الزوزني بكتابه شرح المعلقات السبع. لقد ترك خلفه سجلا حافلا من ذكريات الشباب وسجلا حافلا من بطولات الفرسان وترك مع هذين السجلين ديوان شعر ضم بين دفتيه عددا من القصائد والمقطوعات التي جسدت في تاريخ شبابه ونضاله وكفاحه. وعلى الرغم من صغر ديوان شعره الذي يضم الآن ما يقارب مئة قصيدة ومقطوعة إلا أنه جاء شاعرة متميزة فتح أبواب الشعر وجلا المعاني الجديدة ونوع الإغراض واعتبره القدماء مثالا يقاس علية ويحتكم في التفوق أو التخلف ولذلك فقد عني القدماء بشعره واحتفوا به نقد ودراسة وتقليد، كما نال إعجاب المحدثين من العرب والمستشرقين، فأقبلوا على طباعته منذ القرن الماضي، القرن التاسع عشر في سورية ومصر وفرنسا وألمانيا وغيرها من البلدان التي تهتم بشؤون الفكر والثقافة. امرؤ القيس من ناحية تاريخية مثله مثل باقي شعراء العصر الجاهلي، الدلائل المادية على وجوده التاريخي تكاد تكون معدومة، لأن الثقافة التي حافظت على هذا الإرث كانت ثقافة شفهية. وأول جهود تدوين الشعر الجاهلي بدأت في القرن الثاني والثالث بعد الإسلام أقدم الإخباريين العرب الذين أشاروا لإمرئ القيس كان ابن السائب الكلبي وهناك أربع روايات شفهية تم تدوينها عن حياته وقد أشار مؤلف كتاب الأغاني إلى ذلك الغالب أن امرؤ القيس كان شخصية حقيقية لإن لمحات من روايات الإخباريين موجودة في الكتابات البيزنطية الكلاسيكية، فجده الحارث بن عمرو الكندي مذكور ووجوده مؤكد في كتابات البيرنطيين. يذكر البيزنطيين شخصا قريبا للحارث بن عمرو اسمه كايسوس (قيس) كان ملكا على قبيلة كندة ومعد ولكن التاريخ الحقيقي لهذا الشاعر غارق في الأسطورة ومن أبر آثاره أنه نقل الشعر العربي المستوى جديد وتخليده لقبيلته في الذاكرة العربية ولا زال يعتبر من أعظم الشعراء العرب الجاهليين .

المبحث الثاني : المتنبي و شاعريته :

أبو الطيب المتنبي (303هـ - 354هـ) (915م - 965م) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد، نسب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادته بحي تلك القبيلة في الكوفة لانتمائه لهم. عاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب وكان من أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكنا من اللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء. وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. ولقد قال الشعر صبية، فنظم أول أشعاره وعمره 9 سنوات، واشتهر بحدة الذكاء واجتهاده وظهرت موهبته الشعرية مبكرا.

وكان المتنبي صاحب كبرياء وشجاعة وطموح ومحب للمغامرات، وكان في شعره يعتز بعروبته، ويفتخر بنفسه، وأفضل شعره في الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك، إذ جاء بصياغة قوية محكمة. وكان شاعرا مبدعا عملاقا غزير الإنتاج يعد بحق مفخرة للأدب العربي، فهو صاحب الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وجد الطريق أمامه أثناء تنقله مهيئة لموهبته الشعرية الفائقة لدى الأمراء والحكام، إذا تدور معظم قصائده حول مدحهم. لكن شعره لا يقوم على التكلف والصنعة، لتفجر أحاسيسه وامتلاكه ناصية اللغة والبيان، مما أضفى عليه لونا من الجمال والعذوبة. ترك تراثا عظيمة من الشعر القوي الواضح، يضم 326 قصيدة، تمثل عنوانا لسيرة حياته، صور فيها الحياة في القرن الرابع الهجري أوضح تصوير، ويستدل منها كيف جرت الحكمة على لسانه، لاسيما في قصائده الأخيرة التي بدا فيها وكأنه يودع الدنيا عندما قال: أبلى الهوى بدني.

شهدت الفترة التي نشأ فيها أبو الطيب تفكك الدولة العباسية وتناثر الدويلات الإسلامية التي قامت على أنقاضها. فقد كانت فترة نضج حضاري وتصدع سياسي وتوتر وصراع عاشها العرب والمسلمون. فالخلافة في بغداد انحسرت هيبتها والسلطان الفعلي في أيدي الوزراء وقادة الجيش ومعظمهم من غير العرب. ثم ظهرت الدويلات والإمارات المتصارعة في بلاد الشام، وتعرضت الحدود لغزوات الروم والصراع المستمر على الثغور الإسلامية، ثم ظهرت الحركات الدموية في العراق كحركة القرامطة وهجماتهم على الكوفة. لقد كان لكل وزير ولكل أمير في الكيانات السياسية المتنافسة مجلس يجمع فيه الشعراء والعلماء يتخذ منهم وسيلة دعاية وتفاخر ووسيلة صلة بينه وبين الحكام والمجتمع، فمن انتظم في هذا المجلس أو ذاك من الشعراء أو العلماء يعني اتفق وإياهم على إكبار هذا الأمير الذي يدير هذا المجلس وذاك الوزير الذي يشرف على ذاك. والشاعر الذي يختلف مع الوزير في بغداد مثلا يرتحل إلى غيره فإذا كان شاعرة معروفة استقبله المقصود الجديد، وأكبره لينافس به خصمه أو ليفخر بصوته. في هذا العالم المضطرب كانت نشأة أبي الطيب، وعى بذكائه الفطري وطاقته المتفتحة حقيقة ما يجري حوله، فأخذ بأسباب الثقافة مستغلا شغفه في القراءة والحفظ، فكان له شأن في مستقبل الأيام أثمر عن عبقرية في الشعر العربي. كان في هذه الفترة يبحث عن شيء يلح عليه في ذهنه، أعلن عنه في شعره تلميحا

وتصريحا حتى أشفق عليه بعض أصدقائه وحذره من مغبة أمره، حذره أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل في دهوك فلم يستمع له

وإنما أجابه : أبا عبد الإله معاذ أني. إلى أن انتهى به الأمر إلى السجن .

المتنبي وسيف الدولة الحمداني

ظل باحثا عن أرضه وفارسه غير مستقر عند أمير ولا في مدينة حتى حط رحاله في أنطاكية حيث أبو العشائر ابن عم سيف الدولة سنة 336 هـ، واتصل بسيف الدولة ابن حمدان، أمير وصاحب حلب، سنة 337 هـ وكانا في سن متقاربة، فوفد عليه المتنبي وعرض عليه أن يمدحه بشعره على ألا يقف بين يديه لينشد قصيدته كما كان يفعل الشعراء فأجاز له سيف الدولة أن يفعل هذا وأصبح المتنبي من شعراء بلاط سيف الدولة في حلب، وأجازه سيف الدولة على قصائده بالجوائز الكثيرة وقربه إليه فكان من أخلص خلصائه وكان بينهما مودة واحترام، وخاض معه المعارك ضد الروم، وتعد سيفياته أصفى شعره. غير أن المتنبي حافظ على عادته في إفراد الجزء الأكبر من قصيدته لنفسه وتقديمه إياها على ممدوحه، فكان أن حدثت بينه وبين سيف الدولة فجوة وسعها كارهوه وكانوا كثرة في بلاط سيف الدولة .

ازداد أبو الطيب اندفاعة وكبرياء واستطاع في حضرة سيف الدولة في حلب أن يلتقط أنفاسه، وظن أنه وصل إلى شاطئه الأخضر، وعاش مكرمة مميزة عن غيره من الشعراء في حلب وهو لا يرى إلا أنه نال بعض حقه، ومن حوله يظنون أنه حصل على أكثر من حقه. وظل يحس بالظمأ إلى الحياة، إلى المجد الذي لا يستطيع هو نفسه أن يتصور حدوده، إلا أنه مطمئن إلى إمارة حلب العربية الذي يعيش في ظلها وإلى أمير عربي يشاركه طموحه وإحساسه. وسيف الدولة يحس بطموحه العظيم، وقد ألف هذا الطموح وهذا الكبرياء منذ أن طلب منه أن يلقي شعره قاعدة وكان الشعراء يلقون أشعارهم واقفين بين يدي الأمير، واحتمل أيضا هذا التمجيد لنفسه ووضعها أحيانا بصف الممدوح إن لم يرفعها عليه. ولربما احتمل على مضض تصرفاته العفوية، إذ لم يكن يحس مداراة مجالس الملوك والأمراء، فكانت طبيعته على سجيتها في كثير من الأحيان.

وفي المواقف القليلة التي كان المتنبي مضطرا لمراعاة الجو المحيط به، فقد كان يتطرق إلى مدح آباء سيف الدولة في عدد من القصائد، ومنها السالفة الذكر، لكن ذلك لم يكن إعجابا بالأيام الخوالي وإنما وسيلة للوصول إلى ممدوحه، إذ لا يمكن فصل الفروع عن جذع الشجرة وأصولها كقوله :

ومن عذي أعادي الجبن والبخل من تغلب الغالبين الناس منصبه

خيبة الأمل وجرح الكبرياء

أحس بأن صديقه بدأ يتغير عليه، وكانت الهمسات تنقل إليه عن سيف الدولة بأنه غير راض عنه، وتنقل إلى سيف الدولة بأشياء لا ترضي الأمير. وبدأت المسافة تتسع بين الشاعر والأمير، ولربما كان هذا الاتساع مصطنعة إلا أنه اتخذ صورة في ذهن كل منهما. وظهرت منه مواقف حادة مع حاشية الأمير، وأخذت الشكوى تصل إلى سيف الدولة منه حتى بدأ يشعر بأن فردوسه الذي لاح له بريقه عند سيف الدولة لم يحقق السعادة التي نشدها. وأصابته خيبة الأمل لاعتداء ابن خالويه عليه بحضور سيف الدولة حيث رمى دواة الحبر على المتنبي في بلاط سيف الدولة، فلم ينتصف له سيف الدولة، ولم يثأر له الأمير، وأحس بجرح لكرامته، لم يستطع أن يحتمل، فعزم على مغادرته، ولم يستطع أن يجرح كبرياءه بتراجعه، وإنما أراد أن يمضي بعزمه. فكانت مواقف العتاب الصريح والفراق، وكان آخر ما أنشده إياه ميميته في سنة 345 هـ ومنها : (لا تطلبن كريمة بعد رؤيته).

بعد تسع سنوات ونصف في بلاط سيف الدولة جفاه الأمير وزادت جفوته له بفضل كارهي المتنبي ولأسباب غير معروفة قال البعض أنها تتعلق بحب المتنبي المزعوم لخولة شقيقة سيف الدولة التي رثاها المتنبي في قصيدة ذكر فيها حسن مبسمها، وكان هذا مما لا يليق عند رثاء بنات الملوك، وانكسرت العلاقة الوثيقة التي كانت تربط سيف الدولة بالمتنبي .

فارق أبو الطيب سيف الدولة وهو غير كاره له، وإنما كره الجو الذي ملأه حساده ومنافسوه من حاشية الأمير. فأوغروا قلب الأمير، فجعل الشاعر يحس بأن هوة بينه وبين صديقه يملؤها الحسد والكيد، وجعله يشعر بأنه لو أقام هنا فلربما تعرض للموت أو تعرضت كبرياؤه للضيم، فغادر حلب، وهو يكن لأميرها الحب، لذا كان قد عاتبه وبقي يذكره بالعتاب، ولم يقف منه موقف الساخط المعادي، وبقيت الصلة بينهما بالرسائل التي تبادلاها حين عاد أبو الطيب إلى الكوفة وبعد ترحاله في بلاد عديدة بقي سيف الدولة في خاطر ووجدان المتنبي .

يقول المتنبي : " أنا و أبو تمام حكيمان ، و الشاعر البحتري " يمكننا من هذا القول الانطلاق في دراسة شعرية و شاعرية المتنبي واصفا نفسه بأنه حكيم الشعراء و ليس كالبحتري شاعرا يعبر عن ما يخالجه دون تقيد لحكمة أو بغيره من أنماط الشعر و مواضيعه .

ثم مدح كافورا الإخشيدي وأبا شجاع، وأقام في مصر ردحا من الزمن يرقب الفرصة من

كافور فيصعد المجد على كاهله، فمما قال فيه :

أبالمسك هل في الكأس فضل أناله فإني أغلي من حين وتشرب

وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلب

إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية جودك يكسوني وشغلك يسلب

يضاجك في ذا العيد كل حبيبه حذائي وأبكي من أحب وأدب

أحن إلى أهلي وأقوى لقاء هم وأين من المشتاق عنقاء مغرب

فإن لم يكن إلا أبوالمس أو هم فإنك أحلى في فؤادي وأعذب

وكل امرى يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

يريد بك الكساد ما الله دافغ وسمر العوالي والحديد المذرب

ودون الذي يبغون ما لو تخلصوا إلى الموت منه عشت والطفل أشيب

إذا طلبوا جدواك أعطوا و حكموا وإن طلبوا الفضل الذي فيك خيبوا

ولو جاز أن يحووا علاك وهبتها ولكن من الأشياء ما ليس يوهب

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب

وأنت الذي ربيت ذا المللك مرضعا وليس له أم سواك ولا أب

وكنت له ليت العرين لشبله وما لك إلآ الهندواني مخلب

لقيت القنا عنه بنفس كريمة إلى الموت في الهيجا من العار تهرب

وقد يترك النفس التي لا تهابه ويخترم النفس التي تتهيب

وما عدم لاقوك بأس وشدة ولكن من لاقوا أشد وأنجب

ثناهم وبرق البيض في البيض صادق عليهم ورق البيض في البيض خلب

سللت سيوفا علمت كل خاطب على كل عود كيف يدعو ويخطب

وقال :

وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وجواب

حتى أوجس كافور منه خيفة، لتعاليه في شعره وطموحه إلى الملك، فزوى عنه وجهه، فهجاه وقصد بغداد، وكان خروجه من مصر في يوم عيد، وقال يومها قصيدته الشهيرة التي :ضمنها ما بنفسه من مرارة على كافور وحاشيته، والتي كان مطلعها

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيدا دونها بيد

وفي القصيدة هجوم شرس على كافور وأهل مصر بما وجد منهم من إهانة له وحط منزلته وطعن في شخصيته، ثم إنه بعد مغادرته لمصر قال قصيدة يصف بها المنازل التي في طريقه :وكيف أنه أقام بقطع القفار والأودية المهجورة التي لم يسلكها أحد، وفي مطلعها يصف ناقته

ألا كل ماشية الخيزلي فدي كل ماشية الهيذبي

وكل نجاة بجاوية خنوف وما بي حسن المشي

ضربت بها التيه ضرب القما فإما لهذا وإما لذا

إذا فزعت قدمتها الجياد وبيض السيوف وسمر القنا

وفيها يصف المنازل في طريقه

وجابت بسيطة جوب الرداء بين النعام وبين المها

إلى عقدة الجوف حتى شفت بماء الجراوي بعض الصدا

ولاح لها صور والصباح ولاح الشغور لها والضحا

وهي قصيدة يميل فيها المتنبي إلى حد ما إلى الغرابة في الألفاظ ولعله يرمي بها إلى مساواتها بطريقه. وذكر في قصائده بعض المدن والمواضع الواقعة ضمن الحدود الإدارية الدومة الجندل، والتي منها :

حتام نحن ساري النجم في الظلم وما سراه على خف ولا قدم

ولا يحس بأجفان جست بها فقد الرقابي غريب بات لم ينم

تسود الشمس منا بيض أوجهنا ولا تسود بيض العذر واللمم

وكان حالهما في الحكم واحدة لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

وتترك الماء لا يثق من سفر ما سار في الغيم منه سار في الأدم

لا أبغض العيس لكني وقيت بها قلبي من الحزن أو جسمي من السقم

طردت من مصر أيديها بأرجلها حتى مترف بها من جوش والعلم

تبري له نعام الدو مسرجة تعارض الجدل المرخاة باللجم

ولما وصل إلى بسيطة، رأى بعض غلمانه ثوا فقال : هذه منارة الجامع ورأي آخر نعامة برية فقال: هذه نخلة، فضحك أبو الطيب وقال :

بسيطة مهلا سقيت القطارا تركت عيون عبيدي حيارا

فظنوا النعام عليك النخيل وظنوا الصوار عليك المنارا

فأمسك صحبي بأكوارهم وقد قصد الضحك فيهم وجارا

ومما قاله في مصر ولم ينجدها الأسود ولم يذكره فيها وفيها يشكو معاناته من الزمن

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا

وتولوا بغير كلهم منه وإن سر بعضهم أحيانا

ربما تحسين الصنيع ليالي و ولكن تكدر الإحسانا

وكأنا لم يرض فينا بريب ال دهر حتى اعانه من اعانا

كلما انبت الزمان قناة ر كب المرء في القناة سنانا

ومراد النفوس اصغر من أن نتعادي فيه وأن نتفانى

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

ولو أن الحياة تبقى لحي لعددنا أضلنا الشجعانا

فمن العجز أن تكون جبانا وإذا لم يكن من الموت بدا

فس سهل فيها إذا هو كانا كل ما لم يكن من الصعب في الأن

لم يكن سيف الدولة وكافور هما من اللذان مدحهما المتنبي فقط، فقد قصد أمراء بلاد الشام والعراق وفارس. وبعد عودته إلى الكوفة، زار بلاد فارس، فمر بأرجان، ومدح فيها ابن العميد، وكانت له معه مساجلات، ومدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي في شيراز وذالك بعد .فراره من مصر إلى الكوفة ليلة عيد النحر سنة 370 ها

شعره وخصائصه الفنية

شعر المتنبي كان صورة صادقة لعصره، وحياته، فهو يحدث عما كان في عصره من ثورات واضطرابات، ويدل على ما كان به من مذاهب وآراء، ونضج العلم والفلسفة. كما يمثل شعره حياته المضطربة: فذكر فيه طموحه وعلمه، وعقله وشجاعته، وسخطه ورضاه، وحرصه على المال، كما تجلت القوة في معانيه وأخيلته، وألفاظه وعباراته. وقد تميز خياله بالقوة والخصابة فكانت ألفاظه جزلة، وعباراته رصينة تلائم قوة روحه، وقوة معانيه، وخصب

أخيلته، وهو ينطلق في عباراته انطلاقا ولا يعني فيها كثيرة بالمحسنات والصناعة. ويقول الشاعر العراقي فالح الحجية في كتابه في الأدب والفن أن المتنبي يعتبر وبحق شاعر العرب .الأكبر عبر العصور

أغراضه الشعرية المدح الإخشيدي، وقصائده في سيف الدولة تبلغ ثلث شعره أو أكثر، وقد استكبر عن مدح كثير من الولاة والقادة حتى في حداثته.:

ومن قصائده في مدح سيف الدولة

وقفت وما في الموت شق لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح، وثغرك باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

و كان مطلع القصيدة

و على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عيني الصغير صغارها وتصغر في عيني العظيم العظام

الوصف

أجاد المتنبي وصف المعارك والحروب البارزة التي دارت في عصره وخاصة في حضرة و بلاط سيف الدولة، فكان شعره يعتبر سجلا تاريخية. كما أنه وصف الطبيعة وأخلاق الناس ونوازعهم النفسية، كما صور نفسه وطموحه.

وقد قال يصف شعب بوان، وهو منتزه بالقرب : من شيراز

مغاني الشعب طيبة في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لار بترجمان

طبت فرسائنا والخيل حتى خشيت وإن كرمن من الحيران

غدونا تنفض الأغصان فيها على أعرافها مثل الجمان

فسرت وقد حجبن الحر عني وجئنا من الضياء بما كفاني

وألقى الشرق منها في ثيابي دنانير، تفر من البنان

لها ثمر تشير إليك منه بأشربة وقفن بلا أوان

وأمواة يصل بها حصاها صليل الكلى في أيدي الغواني

إذا غنى الحمام الورق فيها أجابته أغاني القيان

وقال يعاتب سيف الدولة ويفخر بنفسه وشعره :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي و أسمعت كلماتي من به صمم

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

و جاهل مده في جهله ضحكي حتى أتته يد فراسة وفم

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

و مهجة مهجتي من هم صاحبها أدركته بجواد ظهره حرم

رجلاه في الركض رجل واليدان يد وفعله ماتريد الكف والقدم

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

الهجاء لم يكثر الشاعر من الهجاء. وكان في هجائه يأتي بحكم يجعلها قواعد عامة، تخضع لمبدأ أو خلق، وكثيرا ما يلجأ إلى التهكم، أو استعمال ألقاب تحمل في موسيقاها معناها، وتشيع حولها جو السخرية بمجرد اللفظ بها، كما أن السخط يدفعه إلى الهجاء اللاذع في بعض الأحيان. وقال يهجو طائفة من الشعراء الذين كانوا ينفون عليه مكانته :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني، قصير يطاول

لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وما اليه طبى فيهم، غير أنني بغيض إلى الجاهل المتعاقل

ومن قوله في هجاء كافور:

من أية الطرق يأتي مثلك الكرم أين المحاجم ياكافور والجلم

جازا الأولى ملكت كفاك قدرهم فعرفوا بك أن الكلب فوقهم

سادات كل أناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبد القزم

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

ألا فتى يورد الهندي هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم

فإنه حجة يؤذي القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

ما أقدر الله أن يخزي خليقته ولا يصدق قوما في الذي زعموا

بيد أن أبرز ما أتي به المتنبي على مستوى الهجاء كان القصيدة الشهيرة التي كتبها بعد فراره من مصر حيث استبقاه كافور الإخشيدي فيها قسرا. وتعتبر قصيدة هجاء كافور من أكثر قصائد الهجاء قسوة. ومما جاء فيها :

يا ساقيي أخمر في كؤوسكما أم في كؤوسكما هم وتسهيد

أصخرة أنا مالي لا تحركني هذي المدام ولا هذي الأغاريد

إذا أردت كميت اللون صافية وجدتها وحبيب النفس مفقود

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه أني بما أنا شاي منه محسود

إني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود

جود الرجال من الأيدي وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود

ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم إلا وفي يده من نتنها عود

أكلما اغتال عبد السوء سيده أو خانه فله في مصر تمهيد

صار الخصي إمام الآبقين بها فالحر مستعبد والعبد معبود

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد

العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولود

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

ما كنت أحسبني أحيا الى زمن يسيء بي فيه عبد وهو محمود

ولا توهمت أن الناس قد فقدوا وأن مثل أبي البيضاء موجود

وأن ذا الأسود المثقوب مشفره تطيعه ذي العضاريط الرعاديد

جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود

ويلمها خطة ويلم قابلها لمثلها خلق المهرية القود

وعندها لذ طعم المؤت شاربه إن المنية عند الذل قنديد

أقومه البيض أم آباؤه الصيد و من علم الأسود المخصي مكرمة

أم أذنه في يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود

أولى اللئام كويفير بمعذرة في كل لؤم، وبعض العذر تفنيد

وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل، فكيف الخصية السود؟؟

كما ينسب له هذا البيت في وصف أكثر أهل الأرض في الذل

وأوغل أهل الأرض في الذل أمة تضام ومنها لمن ضام جند

الحكمة

اشتهر المتنبي بالحكمة وذهب كثير من أقواله مجرى الأمثال لأنه يتصل بالنفس الإنسانية، ويردد نوازعها وآلامها. ومن حكمه ونظراته في الحياة :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

يرى الجبناء أن العجز عقل وتلك حديقة الطبع اللئيم

وكم من عائب قولا صحيحا وآفتة من الفهم السقيم

ولكن تأخ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

كذلك يقول :

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

والهجر أقتل لي مما اراقبه أنا الغريق فما خوفي من البلل

مقتله

كان المتنبي قد هجا ضبة بن يزيد الأسدي العيني بقصيدة شديدة مطلعها:

مَا أنصَفَ القَومُ ضبّه وَأمهُ الطرْطبّه

وإنّما قلتُ ما قُل ـتُ رَحمَة لا مَحَبه

فلما كان المتنبي عائدًا إلى الكوفة، وكان في جماعة منهم ابنه محمد وغلامه مفلح، لقيه فاتك بن أبي جهل الأسدي، وهو خال ضبّة، وكان في جماعة أيضًا. فتقاتل الفريقان وقُتل المتنبي وابنه محمد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول غربيّ بغداد.

قصة قتله أنه لما ظفر به فاتك أراد الهرب فقال له غلامه : أتهرب وأنت القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرد عليه بقوله: قتلتني قتلك الله.

المبحث الثالث : معيار الشاعرية

عيار المعايير الأصمعية في نقد الفحولة الشعرية :

إن التجربة النقدية العربية ضاربة بجذورها في عمق التاريخ، وما حوليات زهير إلا دلائل بينة على ما كان الشعراء يأخذون به أنفسهم خشية أن تطالهم سهام النقد، فيغدو الشاعر شويعرا أو شعرورا، وكان يرضى أن يباع في سوق نخاسة الشعر، فيكون من مدرسة عبيد الشعر، على أن يتحرر من ربقة القريض، فيغو حرا من العامة التي خبت فيها جذوة الشاعرية وقد امتلك النقاد الأوائل أرمدة من المصطلحات، كانت توظف باقتدار لتستجلي

الشعرية)، وتنزل أصحابها المنزلة اللائقة بكل واح، بلا وكس ولا شطط، ولعل مصطلح "الفحولة"، هو أكثر تلك المصطلحات رواجا، إذ لا نكاد نمر بمصدر نقدي، أو كتاب له تعلق بالشعر من قريب أو بعيد إلا وجدنا لذاك المصطلح ذكرا فيه ذكرا. ومن بين النقاد الأكثر احتفاء بمصطلح "الفحولة شيخ العربية عبد الملك بن قريب الأصمعي البصري، لسان العرب، وأحد مشاهير المشتغلين بالأدب، أخذ عن علماء العراق والشام والحجاز، وكان طوافا بالبادية كالحفظة يكتب لفظ اللفظة، روى عن أبي عمرو بن العلاء وطبقته. وكان محفوظه من الشعر مئات الألوف من الأبيات، الأراجيز منها ستة عشر ألف أرجوزة. وفي بحثنا هذا، حاولنا الوقوف على حقيقة هذا المصطلح، والمعايير المطلوبة البلوغه، ونقد تلك المعايير، ثم بيان الأثر الذي أثمره توظيف مصطلح (الفحولة) في الساحة النقدية العربية.

الفحولة بين اللغة والاصطلاح :

الدلالة اللغوية

* للفحولة في لغة العرب معنيان:

الأول: جمع فحل، فالتاء فيه زائدة، كما زيدت في السهولة (جمع سهل) والحمولة جمع حمل)، ونحوهما ؛ قال سيبويه: ألحقوا الهاء فيهما لتأنيث الجمع[1]. يقول ابن فارس في مادة (فحل): «الفاء والحاء واللام أصل صحيح يدل على ذكارة وقوة. من ذلك الفحل من كل شيء وهو الذكر الباسل... وفحل فجيل: كريم. والعرب تسمى سهيلا: الفحل، تشبيهة له بفحل الإبل، لاعتزاله النجوم، وذلك أن الفحل إذا قرع الإبل اعتزلها»[2].

[1] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط.1. ج11ص 516 .

[2] ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر، 1979 ، ج4ص479.

الثاني: الفحولة والفحالة والفحلة؛ وصف لكل ذكر قوي غالب متميز على غيره، كريم منجي عظيم نبيل. سواء كان المذكر حقيقيا كالفحيل من الإبل والكباش والرجال، والفال من النخل، أو معنويا كهيل النجم[1].
ف(الفحولة) على هذا مفهوم ذكوري محض، يقابل الأنوثة أو التأنث، وما يستتبع ذلك مما تفعله الأنثى من تزين أو تبرج أو ما شاكلهما[2].

وقد ورد في الشعر بهذا المعنى ؛ فها هو ذا الهند الماني يقول – مفتخرا- أ الأرض خطا مثل خط الجمل الفحل وأكفي القوة في الكبة هـ ول الخيل والرجل وتقول عفيرة بنت عفان الجديسية – تذم رجال قومها –:

بعدة وحقا للذي ليس دافعة ويختال يمشي بيننا مشية الفحل الدلالة الاصطلاحية إذا كان فن الشعر منبته الطبيعي هو بيت الشعر، فلا عجب أن تكون المصطلحات المتعلقة به ؛ في الشكل وفي المضمون، بل وحتى في النقد لصيقة بتلك البيئة ؛ فالأسباب والأوتاد والحذذ والخرم والإقواء والتصريع وعمود الشعر وغيرها من المصطلحات العروضية وثيقة الصلة بالخيمة وما يحيط بها. وكذلك الفحولة) هي من رحم تلك البيئة ؛ فإذا كان الفراهيدي قد نظر إلى (الخباء) في وضع مصطلح العروض، فإن الأصمعي قد وقف عند الجمل) في تصور الشاعرية[3]. ومصطلح (الفحولة) أكثر بما يستعمل عند المتقدمين بمعناه الأول[4].

فالشاعر (الفحل) اجتمع فيه قوة الشاعرية، وتبل العبارة، وغلبة الأقران، والتميز عليهم؛ فهو ذو خصوبة فكرية، يتعاني الألفاظ الجزلة القوية، ويتمتع بقدرة فذة على توليد المعاني المبتكرة والسبك المتقن. ولما سأل أبو حاتم السجستاني شيخه الأصمعي عن معنى الفحل؛ أجابه بأنه الذي «له مزية على غيره، كمزية الفحل على الحقاق. قال: وبيت جرير لك على هذا وابن اللبون إذا ما أثر في قرين لم يستطع صولة البزل القناعيس»[5].

فقد وقع تعريف (الفحل) عند الأصمعي في هذا النص بمراعاة أمرين:

[1] هو: نجم عملاق جبار، أبيض اللون، من القدر الأول، ألمع نجوم مجموعة النجوم المكونة الكوكبة القاعدة، يلي الشعرى اليمانية في الإضاءة، يمكن رؤيته بالعين المجردة ليلا. كان العرب يهتدون به في الصحراء وهم يتوجهون صوب الجنوب. وظهور نجم "سهيل" يمثل علامة في تحول الظروف الجوية، حيث كانت العرب تقول: "إذا طلع سهيل؛ برد الليل، وخيف السيل، وكان اللحوار الويل" لأنه يفصل عن أمه. وقد نسجت حول هذا النجم العديد من الأساطير، ونال حظا وافرا من ديوان العرب الشعري. انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الأنواء في مواسم العرب، دار الشؤؤون الثقافية العامة، العراق، 1988.

[2] حمود حسين يونس، في إرهاصات المصطلح النقدي القديم /الفحولة نموذجا"، مجلة التراث العربي، ع.101، س 26، اتحاد الكتاب العرب، سورية، 2006.

[3] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، لبنان، ط.4، 1983. ص85.

[4] كما في رسالة (الفحولة) للأصمعي، والتي اشتملت على أحكام تتعلق بعشرات الشعراء؛ منهم من نال لقب الفحولة – من وجهة نظر الأصمعي – ، ومنهم من حرمه.

[5] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء، تح: ش. توري، قدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط. 1، 1980، ص9.

1- الفضل والشرف: فالشاعر (الفحل) له مزية على غيره من الشعراء تماثل مزية الفحل الواحد من الجمال على الجماعة من الجقاق [1]، وهذه الميزة مرجعها إلى عامل السن والتميز الخلقي؛ ف(الفحل) أن من الحقة، فهو لذلك أنبل منه، والرغبة فيه أشد، ثم هو لفحولته يعدل عددا من تلك الحقاق بل يمتاز عليها.

وقد قال راشد بن سعد: «كان السلف يستحبون الفحولة ؛ لأنها أجرى وأجسر»[2]؛ فالفحل أكثر جريا وأقدم على المسالك الوعرة من غيره.

2- القهر والغلبة: فالشاعر (الفحل) هو البازل القنعاس – الطويل العظيم الضخم النيم – [3] الذي إذا لجميع معه ابن اللبون [4] في حب لم يستطع مقاومته، وقهره الكبر سنه، وقوة بنيته، وشدته، ووفرة خبرته وتجربته. وإنما استدل الأصمعي ببيت جرير لأنه جاء في السياق نفسه – المفاضلة بين الشعراء –؛ ففي بيت سابق على هذا من القصيدة نفسها يقول جرير: إني إذا الشاعر المغروز خُيني جا قبر على م ران مرموس وفي تعريفه ل(فحول الشعراء) يشير ابن منظور إلى هذا المعنى بقوله: «هم الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم ؛ مثل جرير والفرزدق وأشباههما، وكذلك كل من عارض شاعرا فغلب عليه، مثل علقمة بن عبدة وكان يسمى فحلا ؛ لأنه عارض امرأ القيس في قصيدته التي يقول في أولها: خليلي مرا بي على أم جند ب بقوله في قصيدته: ذهبت من الهجران في غير[5].»

مذهب :

ف(الفحولة) من منظور الأصمعي وأضرابه من النقاد «تخضع لمنظور التمييز القائم على التفاوت الذي يتمخض عنه التطور الزماني البحت بين (الحقاق) و(الفحول) من الإبل، بيد أن التمييز قد يقوم على تفاوت يتمخض عنه الفارق النوعي، وذلك ما نستطيع أن نستشفه من قول أبي حاتم: «قلت: فعدي بن زيد، أفحل هو؟ قال: ليس بفحل ولا أنتي»[6]؛ يعني: أنه شاعر وسط معايير الفحولة عند الأصمعي: والمرء في نظر الأصمعي- لا يصير: «في «في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ. وأول ذلك: أن يعلم العروض، ليكون ميزانة له على قوله، والنحو، ليصلح به لسانه، وليقيم به إعرابه، والنسب وأيام الناس، ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب، وذكرها بمدح أو ذم «» [7].

---

[1] وهي: التي دخلت في السنة الرابعة، وعند ذلك يتمكن من ركوبها وتحميلها.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – لبنان، ط.3، 1987. ج3 ص1050. رواه: معلقا بصيغة الجزم، ما يفيد صحته عنده.

[3] وهو: الجمل مضى عليه ثماني سنان وبرزت أنيابه.

[4] وهو: الجمل الذي دخل سنته الثالثة، ولا يزال يعتمد على لبن أمه.

[5] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط.1. ج11ص516 ، أنظر : الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص 11.

[6] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص 11.

[7] محمود عبد الله الجومرد، جهد الأصمعي النقدي في كتابه فحولة الشعراء، مجلة المجمع العلمي العراقي، العراق 1983. جام34، ص198.

فمعايير الفحولة في نقد الأصمعي تتمثل في سبعة أمور:

1رواية الأشعار.

2- سماع الأخبار.

3- معرفة المعاني.

4- دوران الألفاظ في مسامعه.

5- العلم بالعروض ليقيم الوزن.

6- العلم بالنحو ليأمن اللحن.

7- العلم بالأنساب وأيام العرب ليستعين بهما إذا مدح أو هجا.

وهذه الشروط في مجملها ترجع إلى مجالين:

المجال الأول: يتعلق بحقيقة الشعر، ويخدم (الشاعرية)؛ ويشمل خمسة شروط: المحفوظ الشعري الواسع، الرصيد المفرداتي، المعرفة بالمعاني، إحكام الأصول العروضية والقواعد النحوية. أما المجال الثاني: فيتعلق بما يخدم أغراض الشعر ؛ ويشمل شرطين؛ أحدهما: تاريخي يتعلق بالأخبار وأيام العرب، والثاني: العلم بالنسب ليستعين به على معرفة المناقب والمثالب. وهذا المجال يحيلنا على ما تقدم عند ابن منظور من تعليق (الفحولة) بالغلبة في المهاجاة، وفي المعارضة. والمقبوس السابق، المنقول عن الأصمعي،يرى إحسان عباس أنه: «يكتفي بذكر المجال الثقافي للشاعر، ولكنه لا يضيف إليه عنصرا آخر من موهبة أو غيرها»[1]. والحقيقة: أن الموهبة الشعرية لا تنفك عما اشترطه الأصمعى؛ فالذي يكلف نفسه حفظ أشعار العرب والإحاطة بأنسابها وأيامها وتتبع أخبارها، ثم هو مع ذلك خبير بصناعة الشعر وما يتطلبه من وافر اللفظ ومعرفة بمواقع المعاني، فمثل هذا لا ينبعث إلى فعل ذلك إلا عن موهبة وطبيعة مستقرة. وإذا ما أضفنا إلى ما تقدم نقله عن الأصمعي النماذج التي حكم عليها في رسالة (الفحولة)، تأتي لنا الوقوف على أهم الأسس التي كانت توجه الرجل في أحكامه تلك، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

1- الذكورة: فالشاعر الفحل لابد أن يكون ذكرا، ولا حظ للإناث في الفحولة، وهذا مقتضى ما استقر في الأذهان من ضعف الشاعرية النسوية؛ فقد «قيل للفرزدق: إن فلانة تقول الشعر، قال: إذا صاحت الدجاجة

[1] القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مطبعة السعادة، مصر. ط. 1، 1907. ج 1ص132، أنظر إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص52.

صياح الديك فلذبح»، و«قال بشار بن برد: لم تقل امرأة شعرة قط إلا تبنين الضعف فيه، فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ فقال: تلك كان لها أربع خصى!»[1] ؛ يعني: أن فحولتها الشعرية كانت تعدل فحولة رجلين.

هذا الجواب من بشار حدث الفرق، وينشئ الاستثناء ؛ فالفحولة صفة للرجال، ولكن العرب عرفت الفحلات، وهن النساء السليطات ؛ أي: الفصيحات حديدات اللسان، اللواتي لهن قدرة على قهر الرجال بصخبهن. فلا عجب أن يكون من العربيات فحلات في القريض، ولا أدل من اعتداد العرب بشاعرية النساء مما أبدوه من اهتمام بنسائهم الشاعرات وروايتهم لأشعارهن، فقد كان النابغة تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فأنشده الأعشى أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت، ثم الشعراء، ثم جاءت الخنساء السلمية فأنشدته، فقال لها النابغة: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفا، لقلت إنك أشعر الجن والإنس، فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك! فقبض النابغة على يده، ثم قال: يا ابن أخي، إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي:

فإن كالليل الذي هو مدركي وإن لجأت أن المنتأى عنك واسع ثم قال للخنساء: أنشديه، فأنشدته، فقال: والله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك!، فقالت له الخنساء: والله ولا ذا صيين!»[2]. فهذا النابغة الذبياني رأس الفحول يقدمها على فحلين – الأعشى وحسان بن ثابت، بل جعلها أشعر الثقلين، فكيف لا تكون فحلة؟! وها هو ذا الأصمعي يوما يقول لتلميذه أبي حاتم السجزي: «أشعرت أن ليلى أشعر من الخنساء؟!»[3]؛ فهذا السؤال من الأصمعي بهذه الصيغة يحمل دلالات عدة، فمع أن المقارنة جاءت بين شاعرتين، على طريق الأصمعي في المقارنة بين الشعراء والتي تتطلب أن يكونا من الفصيلة نفسها [4]، إلا أن الإعجاب بشعر ليلى الأخيلية واضح، بل قد أقر بغلبة ليلى الأخيلية للنابغة الجعدي الذي عده فح"[5].

فما تقرر من كون القصيدة مغامرة شعورية يصعب على المرأة خوضها، وأن ثمة فرقا في مستوى الإبداع وعمقه بين شعر الرجل وشعر المرأة ؛ ليس على إطلاقه، بل الصواب: أن المرأة بما تتميز به من شعور مرهف وعاطفة جياشة أقرب إلى الشعر من الرجل، وأن لها من الشاعرية ما يتناسب وطبيعتها كما ونوعا، وإذا كانت التجربة تغذي الشعر، فحظ النساء من تلك التجارب لا ينكر ؛ والخنساء ما خلد ذكراها إلا مراثيها في أخويها الذين قتلا.

---

[1] المبرد، محمد بن يزيد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، سورية، ط.3، 1997. ج3ص1397.

[2] انظر: ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط1، د.ت. ج1ص345.

[3] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص19.

[4] ظل الأصمعي يميز تمييزا منهجيا واعيا بين خمس فصائل من الشعراء: الفحول، والفرسان، والصعاليك، والجاز، المولدون والموالي. وقد استأثر الجاهليون بالطبقات الثلاثة الأولى، والإسلاميون بالرابعة، بينا اشترك الإسلاميون والمخضرمون في الخامسة. انظر: محمود عبد الله الجومرد، جهد الأصمعي النقدي. ص220.

[5] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص 11.

فشعر النساء إذن لا يقل روعة عن شعر الرجال، ولهن في كل غرض سهم، فلهن في الغزل والفخر والهجاء، وإن كان الغالب عليهن الرثاء [1].

والشاعرات العربيات لا يحصين كثرة، وحسبنا أن ابن الطاح جمع كتابة في أخبار من يستشهد بشعرهن في العربية فجاء في عدة مجلدات[2].

لكن تبقى الإشارة إلا أن الفحولة، مع كل ذلك، في منظور أرباب الاصطلاح من المتقدمين تستلزم الرجولة، ليس ضنا بهذا الوصف أن تحمله امرأة، كيف والعرب لم تأنف أن يكون فيهم متنبئات كسجاح الكاهنة، فكيف يأنفون أن يكون فيهم فحلات في الشعر، وأين الشعر من النبوءة؟ إن استلزام (الفحولة) الرجولة نابع من أصل المصطلح، ثم مما شرحه الأصمعي بقوله: «طريق الشعر هو طريق طريق الفحول، مثل امرئ القيس وزهير والنابغة؛ من صفات الديار والرحل، والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والحروب، والافتخار؛ فإذا أدخلته في باب الخير لان»[3].

فهذه الأغراض الخمسة: الوصف، والغزل، والهجاء، والمديح، والفخر ؛ هي التي يطرقها الفحول من الرجال، فإذا أرادت المرأة طرقها أو طرقتها فعلا، فستكون متشبيهة بالفحول، لا فحلة على الحقيقة، لأن ما ذكر هو من خصائص الرجال، فإقحام النساء أنفسهن فيه، هو انقلاب على الطبيعة. ولعله لذلك لا نظفر – في ما بأيدينا من المصادر– بمن وصف شاعرات بالفحولة، حتى أولئك الذين وعوا دائرتها من المتأخرين. 2– إدراك الجاهلية: الشعر العربي تركة جاهلية في أصوله وقواعده وأغراضه وكل ما يتصل به، فالجاهليون أعرف به من غيرهم، ويمتنع – بادي الرأي– أن يتفوق عليهم فيه من جاء بعدهم، فمن أجمعوا على تقديمه فهو المقدم، حتى وإن كان غيره أولى بالتقديم منه في بعض الأحيان، وقد كان الأصمعي على وعي تام بهذه القضية ؛ فهو يعلق على قصيدة النابغة الجعدي التي يقول فيها:

تلك المكارم لا قعبان من أبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا فيقول: «لو كانت هذه القصيدة النابغة الأكبر بلغت كل مبلغ»[4].

يعني: لأ النابغة الذبياني هو رأس الفحول، والحكم بين الشعراء، فلو كان قال هذه الأبيات الطارت شهرتها في الآفاق، لشهرة صاحبها، وتلقف الناس أشعاره. ولذلك نجد ظاهر تصرف الأصمعي يوحي بأن (الفحولة) حكر على الجاهليين من الشعراء أمثال امرئ القيس والنابغة الذبياني، أو على من أدرك زمن الجاهلية أمثال كعب بن

---

[1] انظر: عبد اللطيف أرناؤوط، سمات للأدب النسائي في "بلاغات النساء" لأحمد بن طيفور، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، سورية، ع.50، س. 13. 1993.

[2] انظر: السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، تح: عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن الكريم، مصر.

[3] المرزباني، محمد بن عمران، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995. ص78.

[4] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص 11.

جعيل. ويشرح الأصمعي سبب ذلك بما يرويه عن شيخه الذي كان يكثر الاستشهاد به ؛ فيقول: «جلست إلى عمرو بن العلاء ثماني حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي، وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد بقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم. ليس النمط واحدا ؛ ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة يطع»[1].

فأبو عمرو بن العلاء كان سيء الظن بمن ولد في الإسلام من الشعراء ؛ لأنهم عاجزون عن التجديد، غير محكمين لصناعة الشعر، لا يثبتون على قدم واحدة من الجودة، ولا يؤمن عليهم اللحن. وهذا الحكم كان باعتبار الأغلب، وإلا فإن أبا عمرو بن العلاء نفسه يقول عن شعر جرير والفرزدق: «لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته» [2]، لكنه أحجم عما به هم، لأنه «كان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين»[3] ؛ يقول ابن رشيق: «هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه كالأصمعي، وابن الأعرابي أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب، ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتيبه المولدون، ثم صارت لجاجة»[4].

على الرغم من صرامة هذا المنهج اللغوي الذي كان يحكم النقد آنذاك، إلا أنالنص المشار إليه آنفا عن الأصمعي نفسه فيه التفات إلى الشاعرية بغض النظر عن الزمان الذي تفتقت فيه، فقرر أن الشاعر لا يصير: «في قريض الشعر فحط حتى يروي أشعار العرب...»[5].

هذا التقرير يفيد أن الفحولة منزلة متى تورت شروطها في الشاعر، أمكن له أن يكون من أهلها، سواء أدرك الجاهلية أم لم يدركها ؛ ولعل هذا ما يفسر قوله عن أعشى همدان: «هو من الفحول، وهو إسلامي كثير الشعر»[6].

فلم يكتف بإصدار الحكم، وإنما شفعه بالتنبيه على أنه مع إسلاميته– كثير الشعر؛ فكأن هذه الكثرة هي التي شفعت للأعشى عنده، فأثبت فحولته. لكن لماذا تحفظ الأصمعي عن إطلاق هذا الوصف على عامة الإسلاميين من الشعراء، وفيهم من استجمع الشرائط المشار إليها آيا، لعل ذلك راجع – بالأساس – إلى أمرين:

الأول: ما جرى عليه شيوخ الأصمعي، وفي مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء من قصر الفحولة على النموذج الجاهلي، فقد كان ذلك تقليدا سائدا، يعسر الخروج عليه.

---

[1] انظر: القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ج 1ص132.

[2] المرجع نفسه.

[3] لمرجع نفسه.

[4] لمرجع نفسه.

[5] تقدم .

[6] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص14.

فقد قال له أبو حاتم السجستاني: «سمعتك تفضل جريرا على الفرزدق غير مرة، فما تقول فيهما وفي الأخطل؟ فأطرق ساعة، ثم أنشد بيتا من قصيدته: العمري لقد أسريث لا ليل عاجز بسامة الخدين طاوية الشرب فأنشد أبياتا زهاء العشرة، ثم قال: من قال لك إن في الدنيا أحدا قال مثلها قبله ولا بعده، فلا تصدقه.

ثم قال: أبو عمرو بن العلاء كان يفضله، سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوما واحدا، ما قدمت عليه جاهليا ولا إسلاميا.

ثم قال الأصمعي: أنشدت أبا عمرو بن العلاء شعرا ؛ فقال: ما يطيق هذا من الإسلاميين أحد، ولا الأخطل»[1].

واضح من إطراق الأصمعي حينما ل عن الأخطل، وإعجابه الشديد بما أنشده من شعره، ثم ما نقله عن شيخه أبي عمرو بن العلاء جلالة الأخطل في نفسه ونفس شيخه، وأنه لم يزحزح الأخطل عن صدارة قائمة الفحول إلا(إسلاميته)، لكن النقل الأخير عن أبي عمرو بن العلاء كأنه هدم ذلك كله؛ فالإسلاميون مجموعون والأخطل منهم لا يطيقون الإتيان بمثل ذاك الشعر الذي هو لبعض الجاهليين، كما هو واضح.

ومع ذلك، فنظفر بنقل آخر عن أبي عمرو بن العلاء من طريق تلميذه أبي عبيدة يدلي فيه بحكمه في الثالوث الأموي –جرير والفرزدق والأخطل- [2] ، قال أبو عبيدة: «وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كان الفرزدق بن غالب يشبه بزهير في رصانة شعره وشدة أسره، وكان الأخطل يشبه بالنابغة الذبياني، وكان جرير يشبه بالأعشى. قال أبو عبيدة: أولئك الثلاثة شعراء الجاهلية وهؤلاء شعراء الإسلام، فشبهت اثنين باثنين من الأولين، وتركت واحدة واخترت واحدا؟! يعنى: تركه امرأ القيس، واجتلابه للأعشى، وذلك أنه شبه الفرزدق بزهير والأخطل بالنابغة وترك امرأ القيس، واجتلب الأعشى فشبه جزيرة به.

قال أبو عمرو: وكان جرير أشبه بالأعشى منه بامرئ القيس، ومن شبه فحول الإسلام بفحول الجاهلية شبه جريرة بالأعشى.

قال: وكان ذاك عند جرير؟ قال: نعم، كانا بازيين يصيدان ما بين العندليب إلى الكريمى!»[3].

فهذا اعتراف من أبي عمرو بن العلاء –شيخ الأصمعي– بأن في الإسلام فحولا، كما أن في الجاهلية فحولا، لكن قصارى أمر أولئك الفحول الإسلاميين أن يكونوا مشابهين للفحول الجاهليين.

ولعل الظروف المحيطة بالقوم في تلك الفترة دفعتهم إلى تبني ذاك الموقف الصارم، حتى تبقى للموروث العربي من الشعر هيبته ومكانته، ويحتفظ به أنموذجا ينسج على منواله، ومثلا يحتذى به، ولا يمكن تجاوزه أو مجاراته.

---

[1] المرجع نفسه ، ص13.

[2] هؤلاء الذين قال عنهم تلميذه الأصمعي: «لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن، ولا أقول فيهم شيئا لأنهم إسلاميون». . انظر: الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص 12.

[3] انظر: أبو عبيدة، معمر بن المثني، الديباج، تح: عبد الله بن سليمان الجربوع وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1991. ص 5.

هذا الموقف اتخذه أولئك النقاد نقلة العربية وثرواتها وأعلم الناس بها، ربما ردا على الشعوبيين الذين كانوا يحتقرون الجنس العربي ويرونه را عن كل فضيلة، ولعل ما يؤكد هذا الزعم أولئك المحدثون الذين راموا الخروج عن ذاك العمود الشعري، فقد كان أغلبهم من غير العرب.

والثاني: الصعوبة البالغة في تحقق الإسلاميين بتلك الشروط الصارمة التي ألحقت الصفوة من شعراء الجاهلية بمرتبة الفحولة الشعرية؛ فبالإضافة إلى بعد العهد بالجاهلية وتنسخ الكثير من ننها، فإن ما وقع في الإسلام من وقائع وأحداث وغزوات وفتوح قد غطى على أيام العرب التي كانت حروبا ذات طابع محلي، إضافة إلى تخلخل التركيبة البشرية للمجتمع العربي، الذي يدخل فيه الكثير من العجم، وأدخلوا معهم لغاتهم وعوائدهم، ولم يعد من السهل التعرف على الأنساب وضبطها لتفرق أهلها في البلاد.

لكن مع ذلك، فقد وجد في هذا الجيل فحول، منهم من تقدم ذكرهم، وآخرون غيرهم «فيهم من نحل القدماء شعره –كحماد الراوية وخلف الأحمر وابن دأب وأضرابهم – فاندمج في أثناء شعرهم، وغلب في أضعافه، وصب على أهل العناية إفراده وتعسر، مع شدة الصعوبة حتى تكلف فلي الدواوين واستقراء القصائد فني منها ما لعله أمتن وأفخم، وأجمع الوجوه الجودة وأسباب الاختيار مما أثبت وقبل.

وهؤلاء ممحدثون حضرون، وفي العصر الذي فسد فيه اللسان، واختلطت اللغة وحظر الاحتجاج بالشعر، وانقضى بن جعله الرواة ساقة الشعراء»[1].

ولذلك يرى الجرجاني أنه: «لو أنصف أصحابنا هؤلاء [2] لوجد يسيرهم أحق بالاستكثار وصغيرهم أولى بالإكبار؛ لأن أحدهم يقف محصورة بين لفظ قد ضيق مجاله، وحذف أكثره، وقل عدده، وحظر معظمه.

ومعان قد أخذ عفوها، وسبق إلى جيدها؛ فأفكاره تنبث في كل وجه، وخواطره تستفتيح كل باب؛ فإن وافق بعض ما قيل، أو اجتاز منه بأبعد طرف، قيل: سرق بيت فلان، وأغار على قول فلان.

ولعل ذلك البيت لم يقرع قط سمعه، ولا مر بخلده؛ كأن الوارد عندهم ممتع، واتفاق الهواجس غير ممكن! وإن افترع معنى بكرة، أو افتتح طريقة مبهمة لم يرض منه إلا بأعذب لفظ وأقربه من القلب، وألذه في السمع؛ فإن دعاه حب الإغراب وشهوة التنوق إلى تزيين شعره وتحسين كلامه، فوشحة بشيء من البديع، وحلاه ببعض الاستعارة، قيل: هذا ظاهر التكلف، بين التعسف، ناشف الماء، قليل الرونق.

وإن قال ما سمحت به النفس ورضي به الهاجس، قيل: لفظ فارغ وكلام غسيل؛ فإحسانه يتأول، وعيوبه تمل، وزلته تتضاعف»[1].

---

[1] انظر: الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، 2006. ص24.

[2] يعني: المحدثين.

3- بدوية اللغة: لغة الشاعر الفحل لابد أن تكون فيها جدة نج، نابتة في شة البادية، وفي معين الفصاحة؛ وقال الأصمعي: «كانت الواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد، لمخالفتها مذاهب الشعراء، وكان أبو داود على خيل المنذر بن ماء السماء فأكثر وصفه للخيل» [2]، وفي رواية: «لأن ألفاظهما ليست بنجدية» [3]، وهذا المعنى إنما استقاه الأصمعي من شيخه أبي عمرو بن العلاء؛ فقد روى أبو عبيدة عنه: «كان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيلي في النجوم، يعارضها ولا يجري مجاريها، والعرب لا تروي شعره، لأن ألفاظه ليست بنجدية وكان نصرانية من عباد الحيرة، قد قرأ الكتب» [4] .

فهو كان يسكن الحيرة ومراكز الريف، فلان لسانه، وسهل منطقه[5]، وأما أبو دؤاد الإيادي، فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر.

فهؤلاء لما سكنوا الحاضرة، أعرضت العرب عن أشعارهم، لأنهم اهموا ألسنتهم.

لكن لماذا كانت اللغة النجدية أمارة على (الفحولة) عند الأصمعي وأقرانه من النقدة؟ العلنا نجد الجواب عند أبي الحسن الجرجاني ؛ إذ يقول: «كانت العرب ومن تبعها من السلف تجري على عادة في تفخيم اللفظ وجمال المنطق لم تألف غيره، ولا أنسها سواه، وكان الشعر أحد أقسام منطقها، ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب، ويفرد و الديباجة» [6].

فكية سان من يتشرف بالالفاظ الحضرية بزيادة عناية، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة، وانضاف إليها التعمل والصنعة خرج كما تراه فخمة جزة قوية متينة...فلما ضرب الإسلام بجرانه، واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر، ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدب والتطرف؛ اختار الناس من الكلام ألينه وأمهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسها سمعة، وألطفها من القلب موقعة، وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أساسها وأشرفها...وتجاوزوا الحد فيطلب التسهيل حتى تسمحوا ببعض اللحن، وحتى خالطتهم الركاكة والعجمة، وأعانهم على ذلك ليث الحضارة وسهولة طباع الأخلاق، فانتقلت العادة، وتغير الرسم، وانتسخت هذه السنة، واحتذوا بشعرهم هذا المثال، وترققوا ما أمكن، وكوا معانيهم ألطف ماسنح من الألفاظ، فصارت إذا قيت بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين، فيظن ضعفا ، فإذ أفرد عاد ذلك اللين صفاء ورونقأ، وصار ما تخيلته ضعفة رشاقة وأطفأ؛ فإن رام أحدهم الإغراب والاقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد

---

[1] انظر: الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه. ص52.

[2] الأصفهاني، علي بن الحسين، كتاب الأغاني، تح: إحسان عباس وزميلاه، دار صادر، لبنان، ط3، 2008. ج16ص259.

[3] نقله أبو الحسن الجرجاني ؛ واعترضه بقوله: «وكيف يكون ذلك؟ ! وهذا معاوية يفضل عدية على جماعة الشعراء ، انظر: الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه. ص53.

[4] انظر: ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ج 1ص230.

[5] الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط، 2001. ص 59.

[6] الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه. ص 25.

تكلف، وأتم تصنع؛ ومع التكلف المقت، وللنفس عن اللصنع تفرة، وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق، وإخلاق الديباجة»[1].

فلا جرم بعد كل ذلك أن يصر من أصر من النقاد القدامى –وفيهم الأصمعي على بدوية لسان من يتشرف بلقب (الفحل).

أما عن سر هجران المولدين الألفاظ البدوية، واستعاضتهم عنها بالألفاظ الحضرية العذبة الرقيقة، حلوة المعاني، قريبة المأخذ؛ فيقول ابن وكيع التنيسي –أحد كبار نقاد القرن الرابع–: «لو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم، ووصف المهام والقفار، وذكر الوحوش والحشرات، ما ويت؛ لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني، ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه، وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام، وأن الخواص في معرفتها كالعوام»[2].

فالباعث لأولئك المحدثين هو مجاراة أهل الزمان، فقد صار الجمهور لا يطرب الشعر المتقدمين لأنه لا يفهمه، ومن جهل شيئا عاداه! ، ولا حيلة للمتأخرين إلا أن يأتوا ب(ما يطلبه المستمعون) حتى لو ضحوا بفحولتهم الشعرية 4 غلبة صفة الشعر: الفحولة صفة عزيزة، تعني التفرد الذي يتطلب غلبة الشعر على كل صفات أخرى في الرجل ؛ قال أبو حاتم: «قلت: فحاتم الطائي؟ قال: حاتم إنما يعد بكرم، ولم يقل إنه فحل» [3].

فشهرة حاتم بالجود لا بالشعر، فلا يمكنه أن يتسنم ذروة الفحولة. وقال في أبي دؤاد الإيادي: «صالح، لم يقل إنه فحل» [4]؛ لأنه –مع كون ألفاظه غير نجدية، فإنه «كان وصافة للخيل، وأكثر أشعاره في وصفها، وله في غير وصفها تصرف بين مدح وفخر وغير ذلك، إلا أن شعره في وصف الفرس كثر» [5]؛ بحكم مهنته؛ فقد كان قائما على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر. وزيد الخيل الطائي عند الأصمعي من الفرسان [6]، أما خفاف بن ندبة وعنترة والزبرقان بن بدر وعباس بن مرداس السلمي ف هؤلاء أشعر الفرسان، لم يقل إنهم من الفحول» [7]، لأ ما قالوه من شعر لا يرقى بهم إلى درجتهم، لكن «دريد بن الصممة من فحول الفرسان، وهو في بعض شعره أشعر من الذبياني، وكاد يغلب الذبياني» [8].

---

[1] ابن رشيق ج 1ص58.

[2] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص14.

[3] المرجع نفسه ، ص12.

[4] الأصفهاني، علي بن الحسين، كتاب الأغاني. ج16ص256.

[5] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص 15.

[6] المرجع نفسه ، ص 14 .

[7] المرجع نفسه .

[8] حمود حسين يونس: في إرهاصات المصطلح النقدي القديم.

فمع كون دريد مشهورا بالفروسية، إلا أن عنايته بالشعر جعلته ناطح النابغة رأس الفحول-، بل ويتفوق عليه في بعض شعره.

فعزل من غزل من أولئك الشعراء الفرسان عن الفحولة «يعود إلى أن أشعارهم لا ترقي بأصحابها إلى درجة الفحول، إذ ليس هناك ما يمنع من أن يكون الشاعر فح في شعره، وفارسة في ميدان الحرب، ولكن غلبة الصفات الأخرى على صفة الشاعرية عند هؤلاء الشعراء، لم تكن على ما يبدو غلبة شهرة فقط، بل كانت غلبة اهتمام وعناية، فاقت اهتمامهم بالشعر، وعنايتهم به.

ومن هنا فإنهم لم ينتجوا أشعارة تضارع أشعار الفحول، أو تقرب منها حتى يستحق الواحد منهم مرتبة الفحولة، ولو أن أحدهم استطاع أن يوزع اهتمامه ما بين شعره وفروسيته أو كرمه أو ما إلى ذلك، لكان جديرة بالفحولة، مستحقة لها، كما هو الحال للشاعر الفارس دريد بن الصمة» [1]أما من عرفوا ب"الصعاليك" أمثال: شليك بن المملكة، وابن براقة الهمداني، وحاجز الثمالي، وتأبط شرأ، والشنفرى الأزدي، والأعلم الهذلي [2]، فهؤلاء قد كان فيهم شعراء، لكنهم ليسوا من الفحول ولا من الفرسان، ولكنهم من الذين كانوا يغزون فيعدون على أرجلهم فيختلون» [3].

فهؤلاء كانوا لصوصا، وليس كذلك فحولة الشعراء. فمنطلق الأصمعي في التمييز بين هذه الفئات – الفحول والفرسان والصعاليك- إيمانه الخفي بأن من سمات الفحولة عدم تطويع عملية الإبداع الشعري الأعلى للالتزام بأرضية خلقية أو فكرية أو حياتية محددة ؛ فالنموذج الشعري الأعلى في نظر الأصمعي هو الشاعر القبلي الذي يضطرب شعره في آفاق المعاناة الجماعية وتفاصيلها غير المحددة، فضلا عن خوضه تفاصيل التجارب التقليدية في افتتاح قصائده من بكاء الديار والنسيب والرحلة...إلخ.

وتلك معالم لم تكن ممتدة إلى قصائد الفرسان والصعاليك، فذلك الذي ميزهم من الفحول. أما قبول الأصمعي تقويم بعض الفرسان ضمن (الفحول) كطفيل الغنوي مثلا ؛ فلعله رأى في شعره انشدادا إلى المعاناة القبلية يطغى على نزعة الفروسية التي اشتهر بها عند أصحاب الأخبار والسير، فكان أن انطلق من نظرته إلى الشعر لا إلى الشاعر في ميدان التقويم [4].

[1] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص15.

[2] المرجع نفسه ، ص 15 .

[3] انظر: محمود عبد الله الجومرد، جهد الأصمعي النقدي. ص220.

[4] القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ج 1ص73.

5- **الرصيد الشعري:** فلا يكون الشعر صفة غالبة على المرء إلا إذا توقر على رصيد شعري معتبر، والفحل من الشعراء هو الذي يعني بشعره، فيجمع فيه بين الوفرة والجودة فالفحل: «هو من يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره» [1] .

يقول ابن قتيبة: «لا أحسب أحدا من أهل التمييز والنظر، نظر بعين العدل وترك طريق التقليد، يستطيع أن يقدم أحدا من المتقدمين المكثرين على أحد، إلا بأن يرى الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره» [2]

وفي هذا المقام ينقل الأصمعي عن رؤبة بن العجاج أن: «الفحولة هم الرواة» [3] .

يريد: «الذين يروون شعر غيرهم، فيكثر تصرفهم في الشعر، ويقوون على القول» [4]

فالشاعر إذا روى استفحل، لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره، فيعلق بنفسه بعض أنفاسهم، ويقوي بقوة طباعهم، فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر، ومعرفة الأخبار، والتلمذة بمن فوقه من الشعراء، فيقولون:فلان شاعر راوية، يريدون أنه إذا كان راوية عرف المقاصد، وسهل عليه مأخذ الكلام، ولم يضق به المذهب، وإذا كان مطبوعة لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو ماثل بين يديه؛ لضعف الته: كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة[5]

وظاهرة «المزج بين المعيارين الكمي والنوعي في التقويم لا تختص بالأصمعي وإنما كانت تمتد إلى مواقف عامة علماء القرن الثاني بشكل يبدو أشد وضوحا عند ابن سلام الذي وافق في بعض تعابيره الأصمعي أو كاد» ؛ فهو يقول مثلا في حديثه عن الرابعة من طبقات الفحول الجاهليين: «وهم أربعة رهط فحول شعراء، موضعهم مع الأوائل، وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة»[6]، ويقول في الأسود بن يعفر: «وكان الأسود شاعرأ فح" [7]، وكان يكثر التنقل في العرب يجاورهم، فيذم ويحمد، وله فيذلك أشعار. وله واحدة رائعة طويلة، لاحقة بأجود الشعر، لو كان شفعها بمثلها قدمناهعلى مرتبته»» [8].

ولابد للفحل-عند الأصمعي من قصائد جيدة طويلة، فلا تكفيه في ذلك النتف اليسيرة، ولا الأبيات القليلة ؛ فهو يقول عن جرادة بن غميلة العنزي - أحد المقلين -: «له أشعار تشبه أشعار الفحول، وهي قصا» [9]، فكأن

---

[1] ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء. ج 1ص 81.

[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط.7، 1998. ج2ص9.

[3] انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين. ج2ص9. حاشية رقم (7).

[4] انظر: القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ج1ص132.

[5] انظر: محمود عبد الله الجومرد، جهد الأصمعي النقدي. ص206.

[6] انظر: الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء. ص58.

[7] أما الأصمعي ؛ فقال فيه: يشبه الفحول. انظر: الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص14.

[8] انظر: محمود عبد الله الجومرد، جهد الأصمعي النقدي. ص206.

[9] انظر: الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص15.

قصر أشعاره أقعده عن الفحولة فكثرة الشعر إذن أمارة اقتدار وطول نفس لدى الشاعر، وأنه لا يكي بمجرد قول بضعة أبيات، بل يمضي في شعره متنقلا من بيت إلى آخر بوقود شاعري ذاتي الجدد، يغذوه ذخيرة إبداعية لا تنضب، ليعطي قصيدته إكسير الحياة، فيضمن تخليدها على مر الأجيال، ويجعلها مفتوحة للقراءة، للتأويل فيها مسرح ومجال؛ إذ السطر الواحد من الشعر أو القطعة الواحدة تتهيأ لها فرصة أوسع لأن تكون عظيمة إذا هي جاءت في عمل شعري طويل، ومعنى هذا أن التعقيد يصعب تحقيقه في الحيز المحدود»[1].

والأصمعي لا يضع للفحل نصابا من القصائد يتوجب عليه بلوغه ؛ فهو يقول عن سلامة بن جندل: «لو كان زاد شيئا كان فحلا»[2]، وعن أوس بن غلفاء الهجيمي: «لو كان قال عشرون قصيدة للحق بالفحول، ولكنه قطع قطع به»[3]، وعن معقر البارقي: «لو أتم خمسة أو ستة لكان فحلا»[4]، وكذلك هو الحال مع الحويدرة [5] وثعلبة بن وثعلبة بن صعير المازني [6].

ويبدو أن اختلاف عدد القصائد التي يحددها الأصمعي للشاعر حتى يكون فحلا، يخضع لجودة شعر الشاعر عامة، أو الجودة القصيدة التي يرى أنها تمثل الأنموذج الأحسن عند الشاعر، ويطالبه بأن ينظم على غرارها عدد آخر من القصائد [7]

وقد تقوم القصيدة الواحدة مقام القصائد ذوات العدد، ما يشعر بثقل المعيار النوعي عند الأصمعي وعند شيوخه أيضا [8]؛ فمهلهل بن ربيعة: «ليس بفحل، ولو كان قال مثل قوله: أليلتنا بذي حُم أنيري... كان أفحلهم»[9]،وبشر بن أبي خازم: قصيدته التي على الراء ألحقته بالفحول:

ألا بان الخليط ولم دان وقلبك في الظعاين مستعار »[10]

فهذه القصيدة أطول قصائد بشر، وهي مؤلفة من خمسة وخمسين بيتا ؛ استهلها الشاعر بأبيات غزلية، ثم راح يصور فيها غاراته التي خاضها مع قومه على بعض القبائل. هذه القصيدة هي التي ألحقته بركب الفحول عند أبي عمرو بن العلاء فيما نقله عنه الأصمعي، أما ابن الأنباري، فقد نقل عن أبي عمرو بن العلاء إعجابه بقصيدة أخرى لبشر ميمية ؛ مطلعها:

---

[1] عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي اعرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، مصر، د. ط، 1992. ص303.

[2] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص15.

[3] المرجع نفسه ، ص 15 .

[4] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص14.

[5] المرجع نفسه ، ص 12 .

[6] المرجع نفسه .

[7] انظر: حمود حسين يونس: في إرهاصات المصطلح النقدي القديم.

[8] انظر: محمود عبد الله الجومرد، جهد الأصمعي النقدي. ص 205.

[9] المرجع نفسه .

[10] المرجع نفسه .

أحق ما رأيت أم احتلام أم الأهواك إذ صحبي بيام وقال: «ليس للعرب قصيدة على هذا الروي أجود منها، وهي التي ألحقت بشرا بالفحول[1]، وهذه في قريب من أربعين بيتا، تلي التي قبلها في الطول. يبقى النظر في نقطة هامة ؛ ؛ وهي: أن القلة الشعرية قضية نسبية، فما بأيدي الرواة من شعر الشعراء ليس هو كل شعرهم، وهذا باعتراف أولئك الرواة، يشرح ذلك ابن سلام الجمحي ؛ فيقول: «وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهي حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون.... فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يلوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير.

وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح هو وأهل بيته به، فصار ذلك إلى بني مروان أو صار منه»[2].

ويستدل ابن سلام على ما ذكره بقوله: «ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه، قلة ما بقي منه بأيدي الرواة المصممحين لطرفة وعبيد، اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر. وإن لم يكن لهما غيرهن، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة، وإن كان ما يروى من الغناء لهما، فليسا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة. ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير، غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر. وكانا أقدم الفحول، فلعل ذلك لذاك فلما قل كلامهما، حمل عليهما حمل كثير»[3].

فإذا كان الساقط من الشعر كثيرا، لم يعد للمعيار الكمي ذاك الثقل، ولا شك أن هذا الأمر لم يكن غائبا عن أذهان النقاد الأوائل، فقد قال أبو عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرة لجاءكم علم وشعر كثير[4].

ولعله لذلك لم يستقر الأصمعي وأضرابه على نصاب معين يشترط توفره في الرصيد الشعري للفحل، ربما لإيمانهم بأن ذلك سيقصي كثيرا من الشعراء عن تلك المرتبة، لا لشيء إلا لأن الشفهية التي كانت مسيطرة على المنظومة الثقافية العربية، ضيعت كثيرا مما قالوه. وبالنسبة لمعيار الجودة ؛ فواضح أنه لا محيد عنه في الحكم للشاعر بالفحولة، فكلما كثر الجيد في قريضه، كلما ارتفعت منزلته، وحلق عاليا في سماء الريادة. قال الأصمعي: «أولهم لهم في الجودة امرؤ القيس، له الحظوة والسبق، وكلهم أخذوا من قوله، واتبعوا مذهبه»[5].

---

[1] انظر: ابن الأنباري، القاسم بن محمد، شرح المفضليات، تح: كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، لبنان، 1920. ص648.

[2] انظر: الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء. ص34.

[3] المرجع نفسه ، ص 35 .

[4] المرجع نفسه ، ص 34 .

[5] المرجع نفسه ، ص 35 .

ثم إن الجودة قد تكون في روي بعينه أو غرض بعينه ؛ فمرثية أعشى باهلة ليس في الدنيا مثلها[1]، كما أن ميمية بشر بن أبي خازم أجود الميمات الجاهلية، وكافية زهير بن أبي سلمى أجود كافياتهم [2]، والشماخ لا يقوم له أحد في زائيته[3]، وكذلك أبو ذؤيب في جيميته[4].

ففي هذا الأحكام إشارة صريحة إلى أن القافية كانت شاخصا تعتمد عليه كتا الموازنة عند الأصمعي أحيانا، وأن للشكل الفني أثره عند الأصمعي في الموازنة والحكم [5].

ولعل ذلك راجع إلى القدرة على التحكم في أداءات الروي الصوتية والقدرة على استجلاء شعريته، ولاشك أن تلك المملكة من آكد خصائص الفحولة.

6– **التوازن بين الطبع والصنعة**: فلبيد بن ربيعة ليس فحلا في نظر الأصمعي؛ لأن شعره «كأنه طيلسان طبري، يعني: أنه جيد الصنعة، وليست له حلاوة» [6]ومهلهل بن ربيعة: «ليس بفحل»؛ لأنه عجز أن يشفع رائيته رائيته التي مطلعها :

أليلتنا بذي حسم أنيري

بأخرى، فأقعدته شاعريته عن درجة الفحولة، لتلصق به العرب لقب (المهلهل) الذي يفيد «الركون إلى أول بادر، دون عناية بالصنعة الفنية.

مستهجنين هذا الاعتماد الصرف على الطبع. فأحد الأوجه الإشارية للقب المهلهل هو: خف النسج في شعره، وبالنتيجة رداءة شعره. قال ابن منظور: «ويقال: هلهل لان شعره، إذا لم ينقحه وأرسله كما حضره؛ ولذلك سمي الشاعر مهله»[7].

فهلهلة الشعر إذن قد تكون العجز الشاعر أو الإهمال الصنعة والرضا بأول خاطر، والفحولة الشعرية تقتضي «ترك التكلف، ورفض، التعمل، والاسترسال للطبع، وتجنب الحمل عليه والعنف به؛ ولست أعني بهذا كل طبع، بل

---

[1] مرجع سابق ، ص 34 .

[2] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص9.

[3] في رثاء أخيه لأمه (المنتشر بن وهب) مطلعها: إني أتتني سان لا أثر بها من غلو لا كذب فيها ولا تنر انظر: الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء، ص15.

[4] قصيدة له في ثلاث وثلاثين بيتا ؛ مطلعها: بان الخليط ولم يأؤوا لمن ت ر كوا وترودوك إشتياقة أية أكوا قال الأعلم: زعم الأصمعي أن ليس للعرب كافية أجود من هذه، ومن كافية أوس بن حجر .

[5] قصيدة له في ست وخمسين بيات ؛ مطلعها: قفاطن قؤمن شليمي عايز ذات الضاالمشرفات النواشر انظر: الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص20.

[6] قصيدة له في أربعة وثلاثين بيات ؛ مطلعها: صبا صبوه بل لج وهو لجوج وزالت لها الأنعمين خدوج انظر: الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص20 .

[7] انظر: محمود عبد الله الجومرد، جهد الأصمعي النقدي. ص 223. ([84]) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص15.

المهذب الذي قد صقله الأدب، وشحذته الرواية، وجلته الفطنة، وألهم الفصل بين الرديء والجيد، وتصور أمثلة السن والقبح»[1].

وإنما طولب (الفحل) بالجمع بين الصنعة والطبع، لأن لكل منهما نكهته الخاصة؛ ف «الكلام الجيد الطبع مقبول في السمع، قريب المثال، بعيد المنال، أنيق الديباجة رقيق الزجاجة، يدنو من فهم سامعه، كدنوه من وهم صانعه. والمصنوع مثقف الكعوب، معتدل الأنبوب، يطرد ما البديع على جنباته، ويجول رونق الحسن في صفحاته، كما يجول السكر في الطرف الكحيل، والأثر في السيف الصقيل. وحمل الصانع شعره على الإكراه في التعمل وتنقيح المباني دون إصلاح المعاني يعفي آثار صنعته، ويطفئ أنوار صيغته، ويخرجه إلى فساير التعسف، وقبح التكلف، وإلقاء المطبوع بيده إلى قبول ما يبعثه هاجه، وتنفثه وساوسه، من غير إعمال النظر، وتدقيق الفكر، يخرجه إلى حد المشتهر الرث، وحيز الغث. وأحسن ما أجري إليه، وأعول عليه، التوسط بين الحالين، والمنزلة بين المنزلتين، من الطبع والصنعة»[2].

وهذا المسلك المتوازن هو الذي سار عليه شعراء الجاهلية ؛ فمن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتاً، وزمنا طويلا، يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، اتهامة لعقله، وتتبعة على نفسه، فيجعل عقله، زمامة على رأيه، ورأيه عيارة على شعره؛ إشفاق على أدبه، وإحرازة لما خوله الله تعالى من عمته، وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقلدات، والمنحات، والمحكمات؛ ليصير قائلها فحط خنذيدة، وشاعرة ملقأ»[3].

وهذا شويد بن كراع المحكلي يصف معاناته الشعرية، ويذكر تنقيحه شعره؛ فيقول[4]: أبيت بأب و اب القوافي كأنما كأنما أصادي بها سربا من الوحش را أكالتها حتى أتمس بعدما يكون شحيرة أو بعيدة فأهجعا غواصي إلآ من جعل أمامها عصا مؤبير تغشى نحورة وأذرعا أقبت بر الآبدات فراجعت طريقة أمل القصائد مهيقا بعيده شأو لا يكاد يدها لها طالب حتى يكل ويظلعا وجشمني خوف ابن عفان ردها فثقفها ولا حريدة ومعا وقد كان في نفسي عليها زيادة اس فلم أر إلا أن أطيع وأشما وكون الأصمعي أدرج بعض أقطاب مدرسة من كان يسميهم هو (عبيد الشعر) ضمن الفحول، كطفيل الغنوي، الذي مي محبرة لتحسينه شعره[5]، وكذلك تلميذه زهير بن أبي شلمى، وهؤلاء من «من جود في جميع شعره، ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة، وكان يقال: لولا أن الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم في باب التكلف

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج11ص 701.

[2] الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه. ص 31.

[3] انظر: الحصري، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، لبنان، ط. 1، 2001. ج3ص283.

[4] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين. ج2ص9.

[5] المرجع نفسه ، ج2ص12.

وأصحاب الصنعة، ومن يلتمس قهر الكلام، واغتصاب الألفاظ، الذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني هوة ورهوة، وتنثال عليهم الألفاظ انثيا»[1] .

غذر الأصمعي في ذلك أن هؤلاء كانوا ممن: «تكب بشعره والتمس به صلات الأشراف والقادة، وجوائز الملوك والسادة، في قصائد الماطين، وبالطوال التي تنشد يوم الحفل»[2]. والدليل على ذلك أن هؤلاء: «إذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود، ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد في صنعة طوال الخطب، بل كان الكلام البات عندهم كالمقتضب، اقتدارة عليه، وثقة بحن عادة الله عندهم فيه»[3].

7– **معمار القصيد**: الفحول الجاهليون الذين مثلوا الأنموذج كانوا قد درجوا على طريق محدد، لا يخالفونه، ويتوجب على من رام الانخراط في سلكهم أن يسلكه ؛ يقول الأصمعي: «طريق الشعر هو طريق طريق الفحول، مثل امرئ القيس وزهير والنابغة؛ من صفات الديار والرحل، والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والحروب، والافتخار ؛ فإذا أدخلته في باب الخير لان»[4].

فالفحل الجاهلي كان يعني بهذه الأغراض الخمسة: الوصف، والغزل، والهجاء، والمديح، والفخر. فمتى ما جرى العدول عن سنن هؤلاء الفحول، قدح ذلك في شعر الشاعر؛ يقول الأصمعي: «كانت الرواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد، لمخالفتها مذاهب الشعراء» ، فجعل علة هجران شعر هذين الرجلين مخالفتهما مسلك الشعراء قبلهما، ويقول أيضا: «ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحمزة وجعفر عليهما السلام وغيرهم، لان شعره» [5]

و(الشر) و(الخير) في منهج الأصمعي معادلان لمصطلحي (التحرر) و(الالتزام)؛ فالتزام الشاعر بموقف أخلاقي أو فكري التزاما عنيفا، كفيل بحجبه عن ارتياد الآفاق التي حدد الفحول معالمها خلال جهدهم الإبداعي غير المطوع لأي ضرب من ضروب الالتزام العنيف. ومادام (التحرر) هو الطابع العام لشعر الفحول من الجاهليين، فإن على النقد أن ينظر بحذر إلى الملتزمين كعروة بن الورد الذي يقول عنه الأصمعي: «شاعر كريم، وليس بفحل»[6]، وكذلك حاتم الطائي الذي هو عنده: «إنما يعد بكرم، ولم يقل إنه فحل» [7]، أو الذين تحدت آفاق نتاجهم بوجه مقي كلبيد، الذي يقول فيه: «كان رجلا صالحاً» [8]ويعلق تلميذه أبو حاتم بقوله: «كأنه ينفي عنه جودة

[1] انظر: الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص10.
[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين. ج2ص13.
[3] المرجع نفسه.
[4] المرجع نفسه ، ج2ص14.
[5] المرزباني، محمد بن عمران، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء. ص 81.
[6] المرجع نفسه .
[7] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص 12.
[8] المرجع نفسه ص 14 .

الشعر»[1]، ليقرر بذلك أن الأصمعي كان يرى في التوجه الخلقي الإيجابي إبعادا للشاعر عن مرتبة الفحول، مع غض النظر عن طبيعة التوجه وتفاصيله[2].

ولا تعارض بين ما تقر هنا، وما قاله الأصمعي في مزرد بن ضرار: «ليس بدون الشماخ –وهو أخ له، قد حكم بفحولته، ولكنه أفسد شعره بما يهجو الناس»[3].

وقوله في الحطيئة: «أفسد مثل هذا الشعر الحسن لشعر أنشده له بهجاء الناس وكثرة الطمع»[4].

فهذان القلان يشيران إلى عامل مشترك أسقط فحولة هذين الشاعرين هو: الهجاء المفرط، والبخل؛ فالهجاء من مقومات الفحولة –كما تقدم، ولكنه كالملح ينبغي أن يستعمل بقدر، أما أن يخرج عن الحد بأن يهجا كل الناس، بل أن يهجو المرء نفسه إذا لم يجد من يهجوه كحال الحطيئة [5]، أو يكون شريرة يهجو ضيوفه، بل ويهجو قومه، كحال مزرد، فإن هذا الهجاء يذهب بلذة الشعر وثمرته، فيغدو وسيلة للابتزاز، وتحصيل الأموال وقطع الطريق أمام الضيفان، كما هو منقول في سيرة هذين الرجلين؛ وكل ذلك مباين السنن العرب، التي جاء الشعر ليخدمها لا لتخدمه.

يقول ابن رشيق في هذا المقام: «من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل، حسن الأخلاق، طلق الوجه، بعيد الغور، مأمون الجانب، سهل الناحية، وطيء الأكناف، فإن ذلك مما يحببه إلى الناس، ويزينه فيعيونهم، ويقربه من قلوبهم، وليكن مع ذلك شريف النفس، لطيف الحس، عزوف الهمة، نظيف البزة، أنفة؛ لتهابة العامة، ويدخل في جملة الخاصة، فلا تمجه أبصارهم، سمح اليدين، وإلا فهو كما قال أحمد بن أبي فنن: وإن أحق الناس باللوم شاعر يلوم على البخل الرجال ويبخل »[6]

القيمة النقدية لمعيار الفحولة: لابد للعملية النقدية أن تمر بمراحل معينة، لتؤتي ثمارها ؛ إذ «النقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو إلى الشعر خاصة؛ يبدأ بالتذوق، أي القدرة على التمييز، ويعثر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم، خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، وهي متدرجة على هذا

---

[1] المرجع نفسه ص 15 .

[2] المرجع نفسه .

[3] انظر: محمود عبد الله الجومرد، جهد الأصمعي النقدي. ص207.

[4] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص12.

[5] الأصفهاني، علي بن الحسين، كتاب الأغاني. ج2ص111.

[6] قال أبو عبيدة: كان الحطيئة بذية هجاء، فالتمس ذات يوم إنسانا يهجوه فلم يجده، وضاق عليه ذلك، فأنشأ يقول:
أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً بشر فما أدري لمن أنا قائله وجعل يدهور هذا البيت في أشداقه ولا يرى إنسانة، إذ اطلع في ركي أو حوض، فرأى وجهه فقال: أرى لي وجهاشوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله انظر: الأصفهاني، علي بن الحسين، كتاب الأغاني. ج2ص106.

النسق؛ كي يتخذ الموقف نهجا واضحا، مؤصلا على قواعد – جزئية أو عامة –، مؤيدا بقوة الملكة بعد قوة التمييز»[1].

وهذه الخطوات قد وجدت طريقها إلى التطبيق في عصر الأصمعي بعد أن انتقل جزء من تراث الأمة من الشفوية إلى الكتابية، فاجتاز النقد قنطرة التذوق والتأثر ليصل إلى ساحة الفحص والتأمل. ومع أن التدوين يهيء الأرضية للنقد الموضوعي، إلا أنه «لا يستطيع أن يخلق وحده نقدا منظما، بل لابد من عوامل أخرى، أهمها: الإحساس بالتغير والتطور في الذوق العام، أو في طبيعة الفن الشعري، أو في المقاييس الأخلاقية التي يستند إليها الشعر، أو في العادات والتقاليد التي صورها، أو في المستوى الثقافي ونوع الثقافة في فترة إثر أخرى، أو في مجموعة من القيم على وجه التعميم. ذلك لأن هذا الإحساس بالتغير والتطور هو الذي يلفت الذهن – أو ملكة النقد – إلى حدوث " مفارقة " ما، ولابد لهذه المفارقة أول الأمر من أن تكون ساطعة متباعدة الطرفين، حتى تمكن النظر الذي لم يألفها قبلا من رؤيتها بوضوح»[2].

غير أن «موق النماذج الشعرية الجاهلية، ثم حركة الأحياء لتلك النماذج في العصر الأموي، وبعض العصر العباسي، واتخاذها قبلة للجميل أو الرائع من الشعر سببا في حجب كل حقيقة تطوية عن العيون. لهذا لم يبدأ الإحساس بالتغير والتطور إلا حين أخذت بعض الأذواق تتحول عن تلك النماذج إلى نماذج جديدة، وحين أخذت المقاييس الأخلاقية والقيم العامة والتقاليد المتبعة تنحني أمام تيارات جديدة أو تصطدم بها، وحين تعددت المنابع الثقافية وتباينت مستوياتها[3].

لقد ظهر كل ذلك في عصر الأصمعي، لك التصاقه بالرواية واللغة ذلك الالتصاق الشديد لم يسمح له أن يراها بوضوح أو أن يتمثلها؛ فمع كونه بداية النقد المنظم، لأنه أحس ببعض المفارقة التي أخذت تبدو في أفق الحياة الشعرية [4]، إلا أنه ظل وجيله من النقاد متشبثين بالمقاييس القديمة في تقويم الشعراء، ومنها مقياس (الفحولة)؛ والذي يرى (إحسان عباس) اعتماده مقياسا واحدا «للتمييز بين مختلف ألوان الشعر يعد خطرا على النقد وعلى التذوق معا، ولابد من أن يضيق به الدارسون ذرعا، حتى هؤلاء الرواة أنفسهم لن يحسنوا الصبر على لون واحد فيما يرونه؛ إذ ما أسرع ما يحدث تضييق المقاييس تقلبا في الذوق بين الحين والحين، فكيف إذا كان المعتمد مقياسا واحدا؟ !»[5].

والحقيقة أن (الفحولة) لم تكن المعيار الوحيد للحكم على الشعراء، وإنما كانت معيارا للحكم على النخبة منهم، والناظر فيما أصدره الأصمعي من أحكام على الشعراء، يرى أنه حكم بشاعرية العشرات ممن لم يرتضهم فحولا ؛

[1] القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ج 1ص 131.

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه 4، دار الثقافة، لبنان، 1983. ص8.

[3] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،مرجع سابق ..

[4] مرجع نفسه ، ص.

[5] مرجع نفسه ، ص .

فعروة بن الورد عنده: «شاعر كريم، وليس بفحل»، [1] و«الراعي أشبه شعرة بالقديم وبالأول»[2]، وخفاف بن ندبة وعنترة والزبرقان بن بدر وعباس بن مرداس السلمي« هؤلاء أشعر الفرسان، لم يقل إنهم من الفحول»[3]. وإذا أردنا أن ننصف الأصمعي وجماعته من النقاد ؛ فينبغي أن نقول: أنهم استشعروا أهمية الشعر، بوصفه ديوان العرب، وخزانة علومهم ومعارفهم، وكانوا على وعي تام بدورهم الحاسم في ماضي الأمة العربية ومستقبلها، لقد كان الأصمعي وهو الذي طاف الفيافي والقفار، يجمع شتات الغريب من كلام الغريب ؛ يرى بثاقب بصيرته مدى فداحة أن يتسلق هرم الفحولة الشعرية من لم تتوفر فيه شرائطها، ومع أن هذا الموقف لا يخلو من التشدد الذي له مسوغاته، إلا أنه أثمر ثمارا طيبة في الساحة النقدية والشعرية ما، وكان وقودا لحراك إيجابي.

* ولعل من أبرز الآثار النقدية لتوظيف مصطلح (الفحولة) في الحقل الشعري ثلاثة أمور: تبلور فكرة طبقات الفحول، إعادة صياغة الخريطة الشعرية، ورفع مستوى الشعرية.

1- طبقات الفحول: فكرة الطبقات عرفتها العرب في جاهليتها [4]، وتداولها النقاد في كلامهم على الشعراء، والفحول أنفسهم عند الأصمعي ليسوا على درجة واحدة، وهذا شيء بدهي ؛ فإن كان جمعهم وصف الفحولة، فثمة أمور باينت بين حظوظهم من هذه الصفة ولذلك يجد المتتبع لصنيع الأصمعي أنه تارة يجزم بفحولة الشاعر فيقول مثلا في علقمة بن عبدة والحارث بن حلزة والمسيب بن علس: «فحل»[5]، وتارة يتشكك في الشاعر، فيقول: «أظنه من الفحول، ولا أستيقنه»[6].

قالها في كعب بن جعيل. وتارة يعبر بما ينبئ عن اجتهاد شخصي، فيقول: «أرى أنه من الفحول»[7].

قالها في مالك بن خريم الهمداني، وفي الأسود بن يعفر النهشلي: «يشبه الفحول»[8]، وفي جرادة بن غميلة العنزي: العنزي: «له أشعار تشبه أشعار الفحول»[9]. وثمة من هو فحل في قصيدة بعينها؛ ككعب بن سعد الغنوي، الذي يقول فيه الأصمعي: «ليس من الفحول إلا في المرثية، فإنه ليس في الدنيا مثلها»[10]. فالفحولة درجة تطبعها النسبية إلى حد كبير ؛ يوضح ذلك هذا النص، يقول أبو حاتم السجستاني: «سمعت الأصمعي عبد الملك بن

---

[1] مرجع سابق ، ص 53 .

[2] الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. ص12.

[3] المرجع نفسه ..

[4] المرجع نفسه ، ص 14 .

[5] كما تقدم نقله عن الجاحظ.

[6] المرجع نفسه ص 12 .

[7] المرجع نفسه ص 13 .

[8] المرجع نفسه ص 12 .

[9] المرجع نفسه ص 15 .

[10] المرجع نفسه ص 14 .

قريب غير مرة يفضل النابغة الذبياني على سائر شعراء الجاهلية، وسألته آخر ما سألته قبيل موته: من أول الفحول؟ قال: النابغة الذبياني، ثم قال: ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس:

قال أبو حاتم: فلما رآني أكتب كلامه فكر، ثم قال: بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس، له الحظوة والسبق، وكلهم أخذوا من قوله، واتبعوا مذهبه، وكأنه جعل النابغة الذبياني من الفحول»[1]. واضح أن وصف الشاعر بالفحولة وترتيب الفحول ووضعهم ضمن طبقات أمر يحكمه الاجتهاد، وواضح أيضا أن النضج والتجربة كفيلان بتغيير هذا الاجتهاد. فالنابغة قد زحزح عن رئاسة الفحول في لحظة تأملية، ليحل محله امرؤ القيس، بل قد قال الأصمعي: «ودريد في بعض فنية، ومقاييس تمكنهم من نقد الأشعار، والحكم عليها جودة أو رداءة، وتصنيف الشعراء، ووضعهم في المراتب التي يستحقونها، وتجسد ذلك من خلال ما أوجدوه من مصطلحات، وكان مصطلح الفحولة واحدة من تلك المصطلحات التي تقع عليها في تراثنا النقدي.

2- كان للبيئة البدوية المحيطة بالقوم آنذاك، والمناخ الاجتماعي السائد، أثرهما الواضح في المصطلحات النقدية، وهذا يدل على عمق التفاعل والتأثر بين الناقد والبيئة التي تحيط به، سواء أكانت طبيعية أم اجتماعية

3- لفظ (الفحولة) في العربية؛ يأتي جمعا لكلمة (فحل)، ووصفا لكل ذكر قوي غالب متميز على غيره، كريم منجب عظيم نبيل. والمعنى الأول هو الشائع عند النقاد الأوائل، بينما شاع عند المتأخرين المعنى الثاني.

4- تقوم الدلالة الاصطلاحية للفحولة على ركنين:

1- الفضل والشرف

2- القهر والغلبة.

5- أقام الأصمعي مصطلح الفحولة على سبعة معايير ؛ هي:

1- الذكورة

2- إدراك الجاهلية

3- بدوية اللغة

4- غلبة صفة الشعر

5- الرصيد الشعري

6- التوازن بين الطبع والصنعة

[1] عمرو بن بحر الجاحظ: «البيان والتبيين».

7- معمار القصيد.

6- من أبرز الآثار النقدية لتوظيف مصطلح (الفحولة) في الحقل الشعري:

1طبقات الفحول

2- إعادة صياغة الخارطة الشعرية

3- رفع مستوى الشعرية

شعره أشعر من الذبياني، وكاد يغلب الذبياني»[1].

والخلاصة: أن فكرة طبقات فحول الشعراء كانت ماثلة في تفكير الأصمعي وأحكامه، إلا أنها تجلت بصورة أوسع وأوضح عند محمد بن سلام الجمحي، والذي جاء جهده تتميما للنقص في ترتيب الفحول ضمن طبقات [2].

2- إعادة صياغة الخارطة الشعرية: وذلك من خلال زحزحة بعض أصحاب المعلقات عن رتبة الريادة الشعرية، وفي ذلك خرق للغرف السائد بين الناس؛ فقد أخر الأصمعي عن مكانة (الفحولة) عددا من مشاهير الشعراء، فيهم بعض أصحاب المعلقات: كالأعشى، وعمرو بن كلثوم، ولبيد بن ربيعة، وعنترة بن شداد، والشنفرى؛ فهؤلاء كلهم أقصاهم عن تلك الرتبة، مخالفا بذلك العديد من النقاد الجاهليين والإسلاميين، وملتزما بذلك الخط الذي اختطه لنفسه من وجوب توفر الشاعر على شروط معينة حتى يحظى بالفحولة، بغض النظر عما شاع عند الناس من أمره.

3- رفع مستوى الشعرية: فالشاعر الذي يطمح للوصول إلى درجة الفحول، لابد أن يأخذ نفسه بما أخذ به الفحول أنفسهم، وفي ذلك ارتقاء بصنعة الشعر، وإحكام للشاعرية ؛ فهذا ذو الرمة كان يوما ينشد في سوق الإبل شعره الذي يقول فيه:

.....عَذَّبتهن صيدح .....

و(صيدح) ناقته ؛ «فجاء الفرزدق، فوقف عليه ؛ فقال له: كيف ترى ما تسمع، يا أبا فراس؟ قال: ما أحسن ما تقول! فقال: فما بالي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قصر بك عن غاياتهم بكاؤك في المن وصفتك للأبعار والعطن! !»[3].

كما أن الفحل ينبغي عليه أن يحافظ على تألقه، فيتعاهد شعره حتى لا يسقط؛ يقول الأصمعي: «الشعر تك بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره، وقال مرة أخرى: شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام، لحال النبي [1]

[1] الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ، فحولة الشعراء ، ص 9 .

[2] الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ، فحولة الشعراء ، ص 15 .

[3] انظر : إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 59 .

أي: أن حانا الخزرجي رضي الله عنه أقلع عما كان يرتاده في جاهليته من تشبيب وذكر للنساء من أمثال شعثاء وعميرة وغيرهن، وفخر بقومه وذكر مآثرهم ومناقبهم، وهجاء مر للأوس بسبب الحروب التي كانت بينهم. وتلك هي الأودية التي ترفد نهر الفحولة، فإذا غاضت، جف ماؤه.

بعد هذه الجولة في رحاب مصطلح الفحولة، نخلص إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

1- لقد وعي النقاد القدماء الأوائل، وفي مقدمتهم الأصمعي، ضرورة وجود معايير فنية، ومقاييس تمكنهم من نقد الأشعار، والحكم عليها جودة أو رداءة، وتصنيف الشعراء، ووضعهم في المراتب التي يستحقونها، وتجسد ذلك من خلال ما أوجدوه من مصطلحات، وكان مصطلح الفحولة واحدة من تلك المصطلحات التي تقع عليها في تراثنا النقدي.

2- كان للبيئة البدوية المحيطة بالقوم آنذاك، والمناخ الاجتماعي السائد، أثرهما الواضح في المصطلحات النقدية، وهذا يدل على عمق التفاعل والتأثر بين الناقد والبيئة التي تحيط به، سواء أكانت طبيعية أم اجتماعية

3- لفظ (الفحولة) في العربية؛ يأتي جمعا لكلمة (فحل)، ووصفا لكل ذكر قوي غالب متميز على غيره، كريم منجب عظيم نبيل. والمعنى الأول هو الشائع عند النقاد الأوائل، بينما شاع عند المتأخرين المعنى الثاني.

4- تقوم الدلالة الاصطلاحية للفحولة على ركنين:

- الفضل والشرف
- القهر والغلبة.

5- أقام الأصمعي مصطلح الفحولة على سبعة معايير ؛ هي:

- الذكورة
- إدراك الجاهلية
- بدوية اللغة
- غلبة صفة الشعر
- الرصيد الشعري
- التوازن بين الطبع والصنعة
- معمار القصيد.

[1] ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، الشعر و الشعراء ، ج1 ، ص 524 .

6- من أبرز الآثار النقدية لتوظيف مصطلح (الفحولة) في الحقل الشعري:

- طبقات الفحول
- إعادة صياغة الخارطة الشعرية
- رفع مستوى الشعرية.

خاتمة

إن الشاعرية طاقة متقدة لدى الشاعر تحيي نفوس سامعيه و قارئيه ، و الشاعرية تميز الشعور و الاحساس المتمكن من نفسه ليمكن للآخر المتلقي ما قد وصل إليه هو بنفسه و لا يمكن إلاّ أن نقول إن بعض الشعراء كالمتنبي و امرؤ القيس الذي تناولهما بحثنا يمتلكان خاصية الشاعرية التّي تبقى خالدة مخلدة في أشعارهما ، إنّ قوة الشعر لديهما تنبع من تملك المعاني واتساقهما في شخوصهما فهي تعتبر بصدق و بعمق عن مدى الاتساق بين مقالهما و حقيقتهما كتعبير عن ما يتميزان به من شغف و شيم و غيرهما ، و معان ينشدانها في الحياة .

أمّا الشعرية لديهما فتبرز في الإتقان و التمكن في الوصول إلى أداة طيعة الإيصال رسائلهما و اختيار اللغة و الألفاظ و الرصف على بحور الشعر ، مما يحقق تطلعهما إلى التميز و التفرد .

فلابد أن نقول أن كليهما قد وصل حدّا بعيدا من التمكن في الشعرية ، و لحد الساعة توجد دراسات عنهما ليفهم كيف و من أين تأتى لهما ذلك و سر الخلود في شعرهما حتى عند المعاصرين و بعد قرون طوال لازال يحمل التمكن و الاقتدار و الريادة في شعريته و شاعريتهما .

قائمة المصادر

و المراجع

- **المعاجم :**
  - ✓ معجم المعاني .
  - ✓ المعجم الغني
  - ✓ معجم اللغة العربية المعاصر.
  - ✓ معجم الرائد .
  - ✓ المعجم الوسيط .

- **الكتب :**

- **ابن الأنباري، القاسم بن محمد، شرح المفضليات**، تح: كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، لبنان، 1920.
- **ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر، ج4 ، 1979
- **ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الأنواء في مواسم العرب**، دار الشؤؤون الثقافية العامة، العراق، 1988.
- **ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب**، دار صادر، لبنان، ط.1. ج11.
- **أبو عبيدة، معمر بن المثني، الديباج**، تح: عبد الله بن سليمان الجربوع وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1991..
- **إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الثقافة، لبنان، ط.4، 1983.
- **الأصفهاني، علي بن الحسين، كتاب الأغاني**. ج2.
- **الأصفهاني، علي بن الحسين، كتاب الأغاني**، تح: إحسان عباس وزميلاه، دار صادر، لبنان، ط3، 2008. ج16.
- **الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء**، تح: ش. توري، قدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط. 1، 1980.
- **ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء**، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط1، د.ت. ج1.

- **البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر**، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – لبنان، ط.3، 1987. ج3 .
- **الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين**، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط.7، 1998. ج2.
- **الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، 2006.
- **الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء**، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط، 2001.
- **الحصري، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، لبنان، ط. 1، 2001. ج3.
- **حمود حسين يونس، في إرهاصات المصطلح النقدي القديم /الفحولة نموذجا"**، مجلة التراث العربي، ع.101، س 26، اتحاد الكتاب العرب، سورية، 2006.
- **السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء**، تح: عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن الكريم، مصر.
- **عبد اللطيف أرناؤوط، سمات للأدب النسائي في "بلاغات النساء"** لأحمد بن طيفور، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، سورية، ع.50، س. 13. 1993.
- **عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي اعرض وتفسير ومقارنة**، دار الفكر العربي، مصر، د. ط، 1992.
- **القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، مطبعة السعادة، مصر. ط. 1، 1907. ج 1.
- **المبرد، محمد بن يزيد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة**، سورية، ط.3، 1997. ج3.
- **محمود عبد الله الجومرد، جهد الأصمعي النقدي في كتابه فحولة الشعراء**، مجلة المجمع العلمي العراقي، العراق 1983. جام34.
- **محمود عبد الله الجومرد، جهد الأصمعي النقدي.**
- **المرزباني، محمد بن عمران، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء**، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995.